القصة الفائزة

قصص قصيرة

محمد محمد فياض - فياض محمد فياض

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : القصة الفائزة
المؤلف : محمد محمد فياض - فياض محمد فياض
تصنيف الكتاب : قصص قصيرة
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٣٢٤٥ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 531 - 2

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
Email : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مقدمة

إن هـذا الكتـاب الـذي تحملـه بـين يديـك الآن، هـو مجموعـة قصصيـة قصـيرة شـارك في كتابتهـا الأخـوان محمـد وفيـاض.

تحمـل كل قصـة رسـالة محـددة أراد المؤلفـان إيصالها إليك بأسـلوب سـهل وبسـيط في إطـار مناقشـة، أو أحـداث نعيشـها ونمر بهـا في يومنا.

إحـدى هـذه القصـص هـي القصـة الفائـزة بالمركـز الأول على مسـتوى الجمهوريـة في مسـابقة الاتحـاد العـام لمراكـز الشـباب للقصـة القصـيرة بجمهوريـة مصـر العربيـة.

والآن، سـأطلب منـك أيهـا القـارئ أن تبـدأ في قـراءة هـذه القصـص بتمعـن، وأن تبـدأ رحلتك في البحـث عن القصة الفائزة من وجهة نظرك.

لا يشـترط أن تكـون الأفضـل أدبيـاً أو فنيـاً، ولكن ربما استحسـنتها؛ لأنهـا اسـتطاعت أن تمـس شـيئاً بداخلـك ربمـا كنـت تبحـث عنـه، أو نسـيته بفعـل الأيـام.

وختاماً... ننتظر آراءكم ومقترحاتكم..... وشكراً.

محمد وفياض

القصة الأولى

يوميات طالب

الفصل الأول

لم أنم في هذه الليلة جيداً فقد كنت أنتظر الصباح بفارغ الصبر، نعم.... فغداً هو أول يوم لي في المدرسة، في هذه الليلة جلس معي والدي وأخذ يحدثني عن المدرسة، عن شكلها ومن سأقابل بها ولماذا سأذهب إلى هناك، في النهاية لم أستطع أن أتخيل كل هذه الأشياء ولكن ما أعرفه جيداً أنني كنت في قمة الاشتياق لأرى ذلك المكان وهؤلاء الأشخاص.

نادت أمي علي في الصباح بصوت حنون :

— مازن..... مازن هيا استيقظ

وفتحت عيني فإذا بأشعة الشمس منتشرة في غرفتي، والسماء زرقاء جميلة صافية، وتداخل الأشجار معها يضيف لها جمالاً على جمالها، وخرجت إلى شرفتي لأستمتع بهذا المظهر الخلاب، وبصوت العصافير والبلابل الرائعة الألوان، ثم أخذت نفساً عميقاً وشعرت بنشاط غير مسبوق، وربما ذلك بسبب اشتياقي لاكتشاف ذلك العالم الجديد الذي لم أعهده من قبل.

ذهبت إلى أبي وأمي وكنت في عجلة من أمري، فجلسنا سوياً نتناول الفطور وقامت أمي بإعداد البيض بالطريقة التي أحبها، وتناولنا الفطور، ثم قمت مسرعاً وقامت أمي بإعداد حقيبتي المحتوية على بعض الكتب والكراسات وقلم وممحاة وزجاجة مياة صغيرة وبعض السندويتشات التي أحبها، ثم قمت بارتداء تلك البدلة التي انتظرت كثيراً لارتدائها، ثم قبلتني ووعدتني بمفاجأة سعيدة لي إذا كنت هادئاً في هذا اليوم وأكلت طعامي كله، أخذت أفكر في هذه المفاجأة، يا ترى ما هي، ولكن ما حدث بعد ذلك أنساني كل شيء.

خرجت مع أبي، وذهبنا معاً إلى المدرسة، وما إن دخلت ورأيت تلك الأعمدة، وهذا الفناء الواسع المزين بهذه الأشجار الجميلة، انطلقت أجري فيه وأنا أشعر بسعادة كبيرة، وإذا بأبي ينادي علي :

– مازن... مازن هل هذا ما اتفقنا عليه ؟!.

وتذكرت ما وعدتني أمي به فعدت سريعاً إلى أبي، فذهبنا معاً لحجرة ناظر المدرسة، وجلس أبي يتحدث معه، وبالرغم من أنهما كانا يضحكان ويتحدثان معاً بترحاب ولكني لم أشعر بالارتياح تجاه ذلك الرجل، فهو حتى لم يلاحظ وجودي في ذلك المكان – أو هكذا ظننت – ثم بدأت في التجوال داخل هذه الغرفة الكبيرة وقمت بالضغط على أحد المفاتيح – اعتقدت أنه مفتاح إضاءة – (فإذا بصوت عالي أسمعه فذلك هو جرس المدرسة)، فإذا بهذا الرجل يصرخ منزعجاً، وقام أبي بسحبي وإجلاسي

بجانبه، بدأت أشعر بالضيق من هذه الجلسة، ثم وقفا وسلما على بعضهما وكالعادة تجاهلني ذلك الرجل، ثم خرجنا وذهبنا إلى أحد الفصول وجلست في الصف الأول، وأخبرني أبي أن ذلك هو مكاني الذي سأدرس فيه، ثم وجدت أناساً من سني يدخلون ويجلسون، منهم من كان سعيداً ومنهم من كان حزيناً ومنهم من كان يبكي ويصرخ ومنهم من لم يكن على وجهه أي علامات أو تعابير – أعتقد أني كنت من هذا النوع – فقد كنت لا أزال أتأمل في هذا المكان.

وبعد لحظات، وبعد أن غادر أبي – بعد أن أعاد على أسماعي نصائح أمي لي في الصباح –، سمعت ذلك الصوت الذي سمعته في حجرة الناظر، إنه جرس المدرسة...

دخل المدرس، وبدأ يسأل كل منا عن اسمه وعنوانه، وكنا نجيبه بسعادة كبيرة وأنا بالذات، بل كان صوتي مرتفعاً أيضاً وأحببت هذا الرجل جداً، ربما لأنه أول شخص شعرت أنه يهتم بنا ويسمعنا ويضحك معنا على عكس ذلك الناظر الذي وجدته يدخل من الباب قائلا :

– السلام عليكم .

فوقفنا وقلنا :

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم جلسنا.

ذهب وسلم على الأستاذ وقال له :

– كيف حالك وأحوال التلاميذ ؟.

قال له :

– بخير والحمد لله.

فسأله عن إذا ما كان يواجه أي مشاكل معنا، فأجابه الأستاذ قائلاً:

– لا، فهؤلاء الأطفال أذكياء....

– وكم شعرت بالسعادة في هذه اللحظة

ثم سلم الناظر على الأستاذ وانصرف.

وبعد أن انتهينا من التعريف بأنفسنا قال :

– أما أنا اسمي الأستاذ سمير وسأقوم بتدريس مادة اللغة العربية لكم هذا العام إن شاء الله وأطلب من كل طالب أن يحضر مبكراً وأن يحضر معه كتابه وكراسته وأن يذاكر جيداً حتى أحبه وأعطيه جائزة كبيرة في آخر كل شهر.

ثم دق الجرس وخرج الأستاذ سمير ودخلت بعده مدرسة تدعى ولاء، فعلت معنا مثلما فعل الأستاذ سمير وعرفتنا بنفسها وأخبرتنا بأنها ستكون مدرسة الرياضيات، ثم دخل الأستاذ عادل والأستاذة منى مدرسا التربية الدينية واللغة الإنجليزية والأستاذة أسماء مدرسة الرسم، ثم دق جرس المدرسة.

وهذه المرة؛ لأنه حان موعد المغادرة، في هذه المرة لم أخرج من الفصل حتى جاء والدي وقام بأخذي، لم أخرج مثلما فعل

زملائي، وليس هذا بسبب ما قاله لي أبي أن ألتزم الهدوء وأن أظل في مكاني حتى يأتي ويأخذني، بل لأني وبعد حصة الأستاذ عادل، خرجت في وقت الراحة ولعبت مع زملائي ولكن عندما حان وقت العودة للفصول لم أكن أعرف طريق عودتي للفصل فوقفت مكاني أبكي حتى رآني ناظر المدرسة، فجاءني وسألني عن سبب بكائي، لم أرد عليه واستمر البكاء حتى قطعه تناول قطعة من الحلوى، وأعاد السؤال :

— مازن..... لم تبكي.

فقلت له :

— أنا لا أعرف الطريق للفصل.

فابتسم وأخذني إلى الفصل، لا أخفي أنني بدأت أشعر بالارتياح تجاه هذا الرجل، ثم خرجت مع أبي.

وفي طريق العودة إلى البيت سألني أبي :

— ما رأيك في المدرسة ؟ هل كنت سعيدًا اليوم ؟.

فقلت له :

— نعم.

وبدأت أحكي له ما حدث لي في هذا اليوم، ولكني لم أذكر له ما حدث في وقت الراحة فلم أكن أريد أن تضيع هذه المفاجأة التي وعدوني بها، ثم سألني :

— ماذا فعلت بالنقود التي أعطيتها لك اليوم ؟.

فسكت لبرهة، ثم تذكرت... نعم..... لقد أخذت اليوم أكبر مصروف في حياتي.... لقد أعطاني أبي في الصباح جنيهاً كاملاً... كم كنت سعيداً لذلك، ولكني لم أتذكره طوال وجودي في المدرسة، لا يهم... المهم أن النقود لا تزال معي وسأحتفظ بها حتى أحتاجها.

عدنا للمنزل، واستقبلتني أمي بحفاوة كبيرة، وسألتني عن يومي وكيف سارت الأمور معي، فجلست وقصصت عليها ما حدث معي، ثم سألتني عن طعامي فتذكرت أني لم أكلها أصلا، فشعرت بالإرتباك، وإذا بجرس الهاتف يرن فذهبت أمي لترد عليه، وقمت أنا بفتح الحقيبة بسرعة وأخذت الساندوتشات وخبأتها تحت السرير، وعدت وجلست كما كنت، وجاءت أمي وأعادت علي سؤالها، فقلت لها :

— نعم أكلتها، كلها كانت لذيذة وخاصة ذلك الذي كان بالبيض.

وكانت المفاجأة، لم يكن هناك أي طعام بالبيض.

كنت في قمة الخجل من نفسي واحمرَّ وجهي حتى كاد أن ينفجر، ثم ذهبت وأحضرت الساندوتشات، كانت مغلفة جيداً.

فتحتها أمي، وجلست معي نتناولها سوياً وقالت لي :

— لا تكذب علي يا مازن... فأنا لن أسامحك أبدا إذا كذبت علي مرة أخرى... اتفقنا.

فقلت لها :

— نعم.... حاضر يا أمي.

في هذه اللحظة تذكرت ما حدث في وقت الراحة في ذلك اليوم في المدرسة، ولكني فضلت الصمت على التحدث، ثم جاء أبي من عمله.

تناولنا الغذاء، ثم جلس معي وبدأ يقلب في كتبي، وجاء الليل الذي كنت أنتظره، إنه موعد المفاجأة، كنت نائماً وشعرت بضوضاء في الخارج، خرجت لأرى والدي يحمل صندوقا، فانطلقت ناحيته لأفتحه، فوجدت فيه أفلام الكارتون التي أحبها، فقبلته وقبلت أمي، وبدأت أقلب في هذه الأفلام، ثم قال لي :

- كل أسبوع إن شاء الله سنأتي يوم الأجازة ونجلس معاً لنشاهد فيلماً سوياً، ولكن بشرط أن تكون هادئاً ومطيعاً ومتفوقاً.

فلوحت بالموافقة، ثم عدت لسريري لأنام، وغرقت في الأحلام، وكان ذلك أول يوم لي في المدرسة.

الفصل الثاني

لم تختلف هذه الأيام عن سابقتها فقد بدأت الأيام تتكرر والأسابيع تتكرر...

نفس تعليقات المدرسين... نفس شكاوى الطلاب... نفس التعليمات من المدير... ولا جديد.

بدأت أشعر بالملل من المدرسة، وبدأت أفكر في أسباب تجعلني أتغيب من المدرسة، كانت الأسباب تنجح حيناً وتفشل أحياناً أخرى.

وظللت على هذا الحال حتى جاء نصف العام، وحان موعد الامتحانات، لم أدرك مفهوماً واضحاً لهذه الكلمات ولكن ما كنت أعرفه جيدا أن الأجازة قد اقتربت، وهذا كل ما كنت أفكر فيه.

استمرت الامتحانات لمدة أسبوع، وكنت من أوائل الطلاب الذين يقومون بتسليم أوراقهم، وليس ذلك لسرعتي وبراعتي في الإجابة على الأسئلة، ولكني كنت أقوم بتسليم ورقتي بمجرد أن أرى زملائي يفعلون ذلك.

وكما هو متوقع، كانت نتيجتي سيئة للغاية، فقد حصلت على درجة النجاح في جميع المواد، لم أعطي لذلك أي أهمية ولكن حزن والدتي على هذه النتيجة لم يجعلني أشعر بهذه الأجازة التي كنت أنتظرها، وعلى غير المتوقع فقد اشتقت كثيرا للعودة إلى المدرسة.

عدت إلى المدرسة، وعاد كل شيء كما كان على سابق عهده، الطلاب هم الطلاب، والمدرسون هم المدرسون، والناظر هو الناظر...

لكني بدأت ألاحظ لهجة مختلفة وأسلوب مختلف في التعامل معنا من قبل الناظر والمدرسين، فأصبح التعامل معنا يكون باعتبار الدرجات التي حصلت عليها في امتحانات نصف العام، فمن حصل علي درجات مرتفعة يعاملوه برفق ونجد عند تحدث المدرسين معه ابتسامة عريضة على وجوههم، أما من حصل على درجات منخفضة فيعامله المدرسون بتجهم على الوجه والجواب، ومن لم يتفوق ليس له أي حق من الحقوق، مما وّلد في داخلي الكراهية لهؤلاء المدرسين وقررت أن أنتقم.

«كيف أنتقم ؟!».....ظل هذا السؤال في رأسي لا أجد إجابة له.

كان يومي مقسوماً بطريقة غريبة، ففي الصباح أستيقظ فجراً لأذاكر ثم أذهب إلى المدرسة ثم أعود لأذاكر واجباتي ثم أتناول الغذاء وبعدها ألهو في المساء، أو أشاهد فيلماً كارتونياً على التلفاز، وقبل أن أنام يأتي هذا الخاطر في رأسي

«كيف أنتقم ؟!».....

بـدأت الأيـام تمـر، واقتربـت امتحانـات آخـر العـام وكنـت قـد استعددت جيـداً لهـذه الإمتحانـات ممـا مكنَّـني مـن اجتيازهـا بتفـوق وكنـت في مركـز متقـدم وشـعرت بسـعادة غامـرة ورأيـت في عيـني أبـي وأمـي فرحـة لم أرهـا مـن قبـل، فعـلاً كنـت في غايـة السـعادة في هـذا الوقـت.

أعـدت المدرسـة حفـلاً لتكريـم المتفوقـين وكنـت مـن المدعويـن في هـذه الحفلـة فبالرغـم مـن أن درجاتـي لم تكـن جيـدة في النصـف الأول مـن العـام إلا أنـني بفضـل درجاتـي في النصـف الثانـي اسـتطعت أن أكـون في المركـز الثالـث في الترتيـب العـام ووعـدت أبـي بـأن أكـون في مركـز أفضـل في العـام القـادم.

اسـتعددت جيـداً لهـذا اليـوم، وقمـت بارتـداء البدلـة الـتي أهداهـا لـي أبـي بمناسـبة تفوقـي، وكنـت في غايـة السـعادة.

كانـت الحفلـة جميلـة وكانـت الأجـواء رائعـة ولم أصـدق نفسـي حينمـا سمعـت اسمـي بـين الأوائـل، والـذي أدهشـني كثـيرا تصفيـق الناظـر والمدرسـين لـي، وتذكـرت في هـذه اللحظـة مـا كانـوا يفعلونـه معـي بعـد نتيجـة النصـف الأول مـن العـام وقارنـت بـين ماحـدث معـي في ذلـك الوقـت ومـا حـدث معـي الآن فالـكل يصفـق والجميـع يحترمـني ويقدرنـي وشـعرت بفخـر لم أشـعر بـه مـن قبـل وأقسـمت في داخلـي أن لا أتخلـي عـن هـذه المنزلـة مهمـا حـدث.

مـر اليـوم، كان يومـاً مميـزاً في حياتـي، وبمـروره مـر عـام مـن المدرسـة، فمـن هـذه اللحظـة أنـا في الصـف الثانـي الابتدائـي

مـر عـام تعلمـت فيـه الكثـير والكثـير، وأهـم مـا حـدث لـي في هـذا العـام هـو أنـني تعلمـت فيه كيـف آخذ حقي ممن أسـاء لي، فالمدرسـين الذيــن عاملونــي بقســوة عاملونــي برفــق، ومــن كان يحدثــني بســوء ووقاحــة أصبـح يتحـدث إلى برفـق واحـترام... ومـا السـبب في ذلـك ؟..

إنه النجاح والتفوق، لذلك كان أكثر شيء تعلمته في هذا العام هو.....

«خير وسيلة للانتقام هى التفوق»

الفصل الثالث

- «هيا... هيا من سيجيب على السؤال»....
- «أنا. أنا. أنا. أنا. أنا. أنا»....
- حسناً تفضل يا مازن».....
- «أحسنت يا مازن تفضل»....
- «صفقوا لزميلكم يا أولاد»....

كان هذا هو ملخص عام آخر من حياتي، عام جديد في تفوق ونجاح، في سعادة وهناء، وكما حدث في العام الأول، أنهيت الصف الثاني الإبتدائي بتفوق كبير، فقد كنت الأول على زملائي، ما جعلني معروفاً ومحبوباً من الجميع.

كنت أعتقد أن هذه هي الحياة وأنها ستستمر على هذه الطريقة إلى الأبد، ولكني مع أول يوم لي في الصف الثالث الابتدائي شعرت بإحساس غريب، فقد كانت علاقتي في الفترة السابقة مقتصرة على أبي وأمي وبعض من المدرسين، وعندما كنت أنظر حولي أجد أن هناك علاقة أخرى موجودة بين بعض من زملائي، وشعرت في داخلي بقوة أنني أحتاج لهذه العلاقة، وأن العلاقات السابقة

لا تكفيني، فكأي إنسان أنا احتاج إلى صديق، لم أكن أدرك في هذا الوقت معنى حقيقياً للصداقة، ولكني كنت أستمع للأحاديث التي تدور هنا وهناك، هذا يمرح مع هذا وهذا يضحك مع هذا، وهذا يتحدث مع هذا، ووسط كل ذلك أنا أجلس ضعيفاً وحيداً أنتظر مجيء أبي لأذهب معه للبيت.

لم أشعر بالسعادة حيال ذلك وتمنيت أن يتغير هذا الوضع قريباً، ولكن كيف ؟ كيف أستطيع أن أكون صداقة مع غيري ؟ ولماذا أصلاً أكون صداقة مع غيري ؟.

أسئلة كثيرة كانت تراودني ولم أكن أجد رداً عليها، فأنا لم يكن يخطر ببالي هذا الموضوع إلا عندما أكون في المدرسة، أما في البيت أوعندما أكون مع والدي فلم أكن أفكر بذلك مطلقا، بالإضافة إلى أنني نظرا لانشغال أبي وأمي طوال النهار ونومي بالليل فلم يكن هناك حديث كثير بيننا، ولكنني ورغم ذلك فعندما كنت أجلس في المدرسة في وقت الراحة وحيداً كنت أفكر، ما الذي جعل مجموعة من الزملاء يرتبطون ببعضهم؟ وما هو الشيء المشترك بين هؤلاء؟....

كانت الإجابة التي تتبادر إلى ذهني في هذا الوقت أنهم ببساطة يعيشون في قرية واحدة فهذا كنت ألاحظه جيداً، أجد أبناء كل قرية يذهبون ويجيؤن إلى المدرسة في صحبة، وحتى أبناء مدينتي فأجد أن العلاقات تقتصر بينهم على الجيران، أو الذين يسكنون في شارع واحد..... وهكذا.

ونظراً لأنني كنت أسكن في مدينة وليس في قرية، وأيضاً لأن بيتي كان قريباً من المدرسة ولا يوجد أحد من زملائي يسكن بجواري، فليس هناك علاقات لي مع أحد منهم، فكلها علاقات سطحية وتقتصرعلى السلام والتحية.

قررت التخلي عن فكرة تكوين صداقة مع أحد وانتبهت لمذاكرتي، وجاءت امتحانات الفصل الدراسي الأول واجتزتها بتفوق كالمعتاد، وأمضيت أجازة رائعة مع والدي على أحد الشواطئ الجميلة، وعندما عدنا من الأجازة كان أبي قد اشترى الدراجة التي وعدني بها، وكم كنت سعيداً بذلك، ووعدني بمفاجأة أكبر إذا ما حافظت على مستواي في الفصل الدراسي الثاني.

بدأت الدراسة، بدأ الفصل الدراسي الثاني، ومع بدايته عادت تلك المشاعر والأحاسيس تراودني مرة أخرى، فبالرغم من أني كنت قد تخليت عن فكرة تكوين صداقة مع أحد في المدرسة من قبل، إلا أنني شعرت هذه المرة أنه لا بد من ذلك.

(فلا يمكن لإنسان أن يعيش وحده في الحياة، فلقد خلقنا الله – سبحانه – لنتعارف ونتعايش ويساعد كل منا بعضا ويعوض كل منا النقص الذي يراه في الآخر، فيساعد القوي الضعيف ويتصدق الغني على الفقير، فالاتحاد قوة والتفرق ضعف).

كانت هذه هي الكلمات الأولى التي تعلمناها في بداية هذا الفصل الدراسي، بدأت أغير أفكاري حيال هذا الموضوع، ولكني دائما لم أكن أشعر برغبة في أن أكون أنا البادئ بالتحدث مع

أحـد، فأنـا بطبيعـتي خجـولاً، لذلـك فقـد قـررت الانتظـار لأرى مـاذا سـيحدث في الأيـام القادمـة.

حـدث مـا كنـت أنتظـره، فقـد أصبـح لـي صديـق، ولكـن كيـف ذلـك؟!...

لقـد كان ذلـك أسـرع ممـا توقعـت، لم أكـن أفضـل أن تكـون تلـك هـي الطريـق الـتي أكـون بهـا صداقـة مـع أحـد، ولكـن في النهايـة هـذا هـو الحـال، أصبـح لـي صديـق، وأصبحـت أخـيراً أتحـدث مـع أحـد مـن زملائـي بشـكل يومـي ومسـتمر...

إنه سمير أول صديق لي في حياتي.

الفصل الرابع

في صباح هذا اليوم أخبرني والدي أنه لن يستطيع أن يأتي إلى المدرسة لأذهب معه إلى البيت؛ لأنه لديه عمل كثير في ذلك اليوم، ولذلك كان علي أن أعود إلى المنزل وحدي في ذلك اليوم...

في الحقيقة لم أكن حزيناً لذلك أبداً، بل على العكس لقد كنت سعيداً لأنني سأعود إلى المنزل وحدي، فهكذا يفعل كل زملائي، حتى الذين لا يسكنون في مدينتي ويسكنون في القرى المجاورة فهم يذهبون ويجيئون وحدهم، فلم لا أكون مثلهم ؟.

بدأ اليوم الدراسي كالمعتاد ولكني في الحقيقه لا أعرف ماذا كان يقول المدرسون في هذا اليوم، فلم أكن منتبهاً أصلاً، بل كانت تدور في رأسي أفكاراً كثيرة، ولأنه اليوم الأول لي الذي سأعود فيه للمنزل منفرداً، فقد كنت أفكر هل سأعود بعد انتهاء اليوم الدراسي مباشرةً أم أتأخر قليلاً وألهو مع زملائي، أم أذهب لبعض محلات ألعاب الفيديو ثم أعود إلى البيت فعلى أي حال أبي لن يأتي إلى المدرسة اليوم ولن يعرف أحد ماذا كنت افعل.

- «مازن.... قف.... أخبرني ماذا كنت أقول الآن ؟».

- «آ...آآ... كنت تقول...آآ...آ.».

- «حسنا يا مازن من الواضح أنك لم تكن منتبها لما أقول، اذهب إلى آخر الفصل ولا تتحدث حتى آخر الحصة ووجهك إلى الحائط مفهوم؟.

ذهبت إلى آخر الفصل ووجهي كان في غاية الاحمرار، لم أكن أستطيع أن أنظر حتى إلى زملائي، كانت هذه هي المرة الأولى التي يحدث لي فيها ذلك، وشعرت بحرج كبير خاصة بعد أن سخر زملائي مني لأنني لم أجب على سؤاله...

ولكن، وبالرغم من ذلك فقد ظلت تلك الأفكار تجول بخاطري حتى نهاية اليوم الدراسي، كنت أشعر أن هذه هي فرصتي ولا بد أن أستغلها، فأبي يأتي كل يوم ويذهب معي للبيت، ولم أكن أفكر أن أطلب منه أن يتركني لألعب قليلا مع زملائي، فقد كنت أعتقد أنه سيرفض ذلك فأنا لا زلت صغيراً والطريق غير آمن بسبب السيارات والدراجات... إلخ... وغير ذلك من الأشياء التي كان يقولها لي دائماً منذ دخولي للمدرسة وحتى الآن.

ها قد انتهى اليوم الدراسي، وجاءت اللحظة التي كنت أنتظرها منذ الصباح، خرجت من المدرسة ورأيت بعض الأولاد يتجهون للحديقة الصغيرة التي تقع أمام المدرسة مباشرة، فذهبت وراءهم وأخذنا نلعب سوياً، كانت لحظات ممتعة حقاً، ولا أخفي القلق الذي كان يساورني من لحظة لأخرى لأنني قد أعددت آنفا حجة لذلك... ولذلك ظللت ألعب حتى جاءت لحظة رأيت

الأولاد يجـرون جميعـاً مـن الحديقـة، اندهشـت ووقفـت مكانـي لم أتحـرك وظللـت أنـادي...

— «لم تجرون ؟! لم تذهبون ؟!».

ولكـن لم أحصـل علـى إجابـة، وبعـد لحظـات إذ بـي أعـرف سـبب ذهابهـم بهـذه السـرعة، فقـد ظهـر بعـض الأولاد وواضـح أنهـم مـن المرحلـة الإعداديـة بسـبب زيهـم، ورأيتهـم يتجهـون نحـوي وهـم يتغامـزون فيمـا بينهـم، وشـعرت برعـب شـديد في قلـبي، ثـم اقـترب واحـد منهـم ودفعـني بقـوة فوقعـت علـى الأرض ثـم أخـذ حقيبـتي وبـدأ يقلبهـا، ولأنـني كنـت ضعيـف البنيـة فلـم أسـتطع أن أدافـع عـن نفسـي، بـدأت بالصـراخ حتـى يأتـي أحـد ليسـاعدني، واسـتمر الحـال علـى ذلـك لدقائـق، وإذا بزميـل لـي يتدخـل مسـرعا وفي يـده بعـض الحجـارة الصغـيرة وبـدأ يرشـق هـؤلاء الأشـقياء فهربـوا منـه، ثـم قـام بمسـاعدتي علـى النهـوض وأعطانـي حقيبـتي.....

— «إنني أعرفك جيداً... أنت مازن أليس كذلك ؟».

— «نعـم.. وأنـا أيضـاً أعرفـك، أنـت الـذي تجلـس في الصـف الأمامـي علـى اليمـين في الفصـل أليـس كذلـك ؟».

— «أجـل... ولكـن أليـس أبـاك يأتـي إلى هنـا كل يـوم ليأخـذك للمنـزل، فلـم تأخـر اليـوم ؟».

— «هـو لـن يأتـي أصـلا، فـوراءه عمـل كثـير... دعـك مـن هـذا... لمـاذا فعـل هـؤلاء الأشـقياء ذلـك معـي بالرغـم مـن أنـي لم أفعـل لهـم شـيئا قـط ؟».

— «لا تشغل بالك يا مازن، فهؤلاء مجموعة من الأولاد في المرحلة الإعدادية ومعرفون بأذيتهم ومنبوذون من الجميع ولذلك فعند موعد خروجهم نترك هذه الحديقة لنتفادى شرهم».

— «ولكني خائف من أن يفعلوا لي شيئاً في المستقبل».

— «لا تقلق يا صديقي، فمن اليوم أصبح لك صديق قوي ولن يستطيع أحد أن يمَسَّك بسوء بعد الآن، مع السلامة، في أمان اللّه».

— «ولكني لم أعرف اسمك بعد. ما اسمك ؟».

— «أنا اسمي... سمير».

الفصل الخامس

— «هيا يا مازن ألم تشتق لرؤية صديقك سمير.... هيا استيقظ».

استيقظت على صوت أمي في الصباح وهي تنادي عليَّ، وبالفعل فقد اشتقت كثيراً لرؤية سمير فقد مرت أشهر عديدة لم أره فيها، فبعد أن أنهينا امتحانات الفصل الدراسي الثاني لم أستطيع أن أتواصل معه مطلقاً، فهو يعيش في قرية مجاورة ولا يملك هاتفاً أستطيع من خلاله التواصل معه، لم تكن هذه الإجازة ممتعة علي أية حال.

أنا الآن في الصف الرابع الابتدائي ذهبت إلى المدرسة مبكراً في هذا اليوم وشعرت بشعور غريب عند رؤيته، أخيراً وبعد طول انتظار، لم يتغير شكله، لم تتغير نظراته، حتى لم تتغير ملابسه، وها هو ينادي عليَّ...

— «مازن... مازن..... ما أخبارك ؟».

— «الحمد لله بخير».

— «هل أنت جاهز لتتنافس على المراكز الأولى مثل كل عام ؟».

— «أجل، وسأكون الأول بإذن الله».

— «ههـه... حسناً يا مـازن، ولكـن عليـك أن تبـدأ في المذاكـرة، وأن تذاكـر مـا تأخـذه أولاً بـأول».

— «إن شاء الله سأفعل ذلك».

— «بلغ تحياتي للوالد، وكل عام وأنت بخير».

— «وأنت بخير.... يا حضرة الناظر!».

ذهبـت لأقـف في الطابـور، وكنـت أرمـي ببصـري هنـا وهنـاك باحثـاً عنـه، فأنـا افتقـده كثـيراً ولكـني لم أره...

انتهـي الطابـور الصباحـي وذهبنـا إلى الفصـل والحـال كمـا هـو عليـه لم يحضـر بعد...

ظللـت أنتظـر مجيئـه طـوال الحصـص الأولى مـن اليـوم الدراسـي، ولكنـه لم يـأت، لم أكـن أجـد سـبباً لذلـك، يـا تـري مـاذا حـدث ؟! ، هـل يمكـن أن يكـون قـد أصابـه مكـروه ؟ أو يكـون قـد نسِيَني أصـلاً ولا يتذكـر أن لـه صديـق ؟.

جـاء وقـت الاسـتراحة ذهبـت إلى الفصـل المجـاور فربمـا يكـون هنـاك، ولكـني أيضـاً لم أجـده، وعـدت إلى فصلـي حزينـا، واكتمـل اليـوم الدراسـي علـى أسـوء مـا يكـون، فقـد كلفنـا المدرسـون بواجبـات عـام كامـل، وكأنهـا المـرة الأخـيرة الـتي سـيروننا فيهـا.

عـدت لمنزلـي حزينـا في هـذا اليـوم، وقـد لاحـظ علـيَّ أبـي ذلـك وأخـذ طـوال الطريـق يحدثـني عـن يومـي في المدرسـة.. كيـف كان؟ مـن قابلـت ؟ مـاذا تعلمـت اليـوم مـن دروسـي ؟ ومـاذا اسـتفدت منهـا؟.....الخ.

أسئلة تقليدية، وكنت أجيبه بقدر سؤاله، فلم أكن أرغب في الحديث مع أحد حتى أقرب الناس لي وهم أبي وأمي، فقد كنت أشعر بضيق كبير حتى أنني لم أشاهد أفلام الكرتون التي أحبها ولم ألعب على جهاز الحاسوب، فقط وبعد انتهاء الواجب المدرسي قصصت لأمي ما حدث خلال يومي الدراسي، والحوار الذي دار بيني وبين الناظر، ثم آويت إلى الفراش.

لم أنم في هذه الليلة علي أية حال، فقد كنت أفكر كثيراً بشأن سمير، يا تري ماذا أصابه؟ وما الذي يمكن أن يحدث له حتى لا يأتي في هذا اليوم، أسألة كثيرة ظلت تحيرني وتدور برأسي الصغير، كنت أتمنى أن يسير يومي بشكل أفضل من ذلك.

— «مازن..... مازن».

هه... التفت ورائي فإذا هو.... أجل..... إنه سمير.....

— كيف حالك يا صديقي ؟ هل أنت بخير؟».

— «أجل أنا بخير، ما أحوالك أنت ؟».

— «أنا على أفضل حال لرؤيتك اليوم.. لماذا لم تأت أمس إلى المدرسة؟!».

— «ولماذا تسألني هذا السؤال ؟ لقد جئت إلى المدرسة بالأمس.. أنت الذي لم تحضر وكنت قلقاً عليك».

— «ماذا ؟!..... أنا الذي لم أحضر ؟!..... أين أنا؟..... متي جئت إلى هنا ؟..... ما الذي يحدث آآآآه».

ارتطم رأسي بالحائط واستيقظت من النوم.....

— «مازن.... مازن.....».

— «حسنا يا أمي، استيقظت».

قاطعتها اليوم على غير عادتي، فأنا نادراً ما أكون مستيقظاً قبل أن تنادي عليّ...

قمت من على سريري، توضأت وصليت، أكلت فطوري وسارت الأمور على ما يرام، على الأقل أنا الآن متأكد أن هذا الحوار الذي دار بيننا هو مجرد أحلام من درب الخيال وكم كنت أتمنى ألا يكون هذا حقيقي.

ذهبت إلى المدرسة، وأثناء الطابور رميت ببصري فإذا به يقف هناك، أجل إنه هنا لقد حضر سمير وها هو يقف في أول الصف.

وبمجرد أن انتهي الطابور حتى تلاقينا بالأحضان وتصافحنا، وكانت فرحتي لا توصف، أخيراً وبعد طول انتظار...

— «ماذا حدث لك ؟ لماذا لم تحضر بالأمس ؟».

— «لا شيء يا صديقي لا تقلق علي.... أنا بخير».

— «كنت أخاف أن يكون قد أصابك مكروه ؟».

— «لا تخف يا مازن فأنا بصحة جيدة والحمد لله... هيا فعلينا أن نذهب إلى الفصل».

— «ولكني لن أدعك تذهب حتى تخبرني ما الذي حدث ؟».

— «فقط كنت متكاسلاً بالأمس، وأخبرت والدي أنه يوم السبت وأنه يوم عطلة رسمية».

— «هههههه.... وهل صدقك والدك ؟».

— «وليته لم يفعل، فقد علم بالأمر عندما رأى زملائي عائدون للقرية، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يضربني فيها في حياتي».

— «هههههه.... هههههههه....».

— «لماذا تضحك، هل أنت سعيد بذلك ؟».

— «لا تحزن يا صديقي.... هههه... المهم أنك بخير والحمد لله».

— «الحمد لله».

— «حسنا يا سمير، علينا الآن أن نذهب إلى الفصل وإلا سنعاقب اليوم أيضا للتأخير».

— «ماذا ؟! بسرعة بسرعة، ها هو الأستاذ ذاهب للفصل».

كنت سعيداً جداً وأنا أجري معه باتجاه الفصل، كانت لحظات رائعة، واعتقدت أن هذا اليوم سيعوض كثيراً من حزني بالأمس، إلى أن حدث ما حدث.

الفصل السادس

عـدت إلى منزلنـا، وكنـت حزينـاً جـداً، وكنـت لا أريـد أن أتحـدث مـع أحـد، ذهبـت مباشـرة إلى غرفـتي دون أن أسـلم علـى أمـي كالمعتـاد، ونمـت علـى السـرير بملابـس المدرسـة، وأخـذت فـى البـكاء ولم أسـتطع أن أتمالـك نفسـي، فقـد كنـت في غايـة الحـزن.

جاءت أمي إلى غرفتي مسرعة....

- «مازن...مـا بـك يـا بـني ؟.... مـاذا حـدث لـك ؟..... ألم تقابـل صديقـك أيضـا اليـوم ؟».
- «لا.. قابلته».
- «هل أصابك مكروه في المدرسة ؟».
- «لا».
- «هل تشاجرت مع أحد ؟».
- «لا».

- «هل تشاجرت مع أحد من المدرسين ؟... هل ضربك أحد منهم؟.... هل حدث شيء مع مدير المدرسة ؟».

- «لا».

- «حسناً أخبرني ماذا بك ؟... أراك حزينا ودموعك على خديك لم تجف بعد ! !... ماذا حدث ؟».

- «لا أريد أن أتحدث مع أحد... واااااء».

- ارتفع صوتي بالبكاء، وحضنتني أمي وقبَّلَتني وقالت :

- «لا تحزن يا بني فلكل مشكلة حل إن شاء الله... ولكني لا أريد أن أراك هكذا، فقط أخبرني لماذا أنت منزعج هكذا حتى أستطيع أن أساعدك».

ظللت أبكي ولم أرُدّ، فأخذتني وقامت بتغيير ملابسي، وقامت بتشغيل شريط فيديو لي عليه فيلم الكارتون الذي أحبه، ثم تركتني وذهبت لإعداد الطعام.

اندمجت مع الفيلم ونسيت ما حدث في المدرسة تماماً، وعندما انتهى الفيلم كان أبي قد عاد من عمله، وجلسنا معه أنا وأمي لنتناول الغذاء، وإذا بأبي يسألني ماذا حدث معي اليوم في المدرسة، فكالعادة قصَّت عليه أمي كل شيء بمجرد وصوله إلى المنزل.

أخبرته بما حدث لي، وبعد أن انتهيت إذا به يضمني إليه فانهمرت بالبكاء....

- «اهدأ يا مازن، فليس معنى أن صديقك سمير قرر والده نقله لمدرسة القرية أنك لا يمكن أن تتحدث معه مرة أخرى، بل يمكن أن تتراسلا».

- «وكيف ذلك يا أبي ؟».

- «من الممكن أن تأخذ رقمه وتتصل به من هاتفي».

- «ولكن سمير ليس لديه هاتف في منزله أصلاً».

- «حسنا يا مازن، يمكن أن تكتب له جواب وترسله له مع أحد من سكان قريته».

- «فكرة جميلة.... شكراً يا أبي».

شعرت بفرحة ونشوة من داخلي، لقد كنت سعيداً جداً وانطلقت فوراً لأكتب أول رسالة في حياتي.

أحضرت ورقة بيضاء من الكشكول خاصتي، وأخذت قلمي الرصاص وجلست على مكتبي وبدأت أفكر ماذا أكتب له...

لا أعرف، فقد كانت المرة الأولى التي أفكر فيها في شيء كهذا، لذلك لم يكن أمراً سهلاً على الإطلاق، ولكني بالفعل قد كتبته، وشعرت بإنجاز كبير، فها أنا أفعل مثل الكبار أكتب رسالة وسأرسلها غداً إن شاء الله مع زميلي خالد فهو يسكن بجواره.

خلدت في نوم عميق في هذه الليلة، كانت سعادتي لا توصف، فعلاقتي بسمير لن تنتهي كما كنت أتوقع، لقد كان يحدثني في وقت الاستراحة اليوم في هذا الأمر، فقد تم بناء مدرسة جديدة في

قريتـه وقـرر والـده مـع بعـض مـن أهـل القريـة أن ينقلـوا أبنائهـم إلى هنـاك، أمـا غيرهـم – وهـم قليـل – فضلـوا أن يبقـى أبنائهـم في مدرسـة المدينـة الـتي أعيـش فيهـا ومنهـم خالـد الـذي سأرسـل معـه الرسـالة إلى سمـير غـداً.

اسـتيقظت في هـذا اليـوم وأنـا علـى عجلـة مـن أمـري، فقـد كنـت أريـد أن أذهـب سـريعاً إلى المدرسـة وأقابـل خالـد لأعطيـه الجـواب الـذي كتبتـه ليرسـله لـه، فاليـوم هـو اليـوم الأول الـذي سـيذهب فيـه سمـير إلى مدرسـة القريـة، لذلـك تناولـت فطـوري مسـرعاً وسـلَّمت علـى أبـي وأمـي وذهبـت إلى المدرسـة وحـدي، فقـد بـدأ أبـي يدعـني أذهـب إلى المدرسـة وحـدي حتـى أعتـاد علـى ذلـك، وطبعـاً كان علـيَّ أن أتبـع التعليمـات جيـداً، فعلـيَّ أن أسـير علـى جانـب الطريـق دائمـاً، وعلـيّ أن أنتبـه إلى السـيارات المـارة هنـا وهنـاك، وعلـيّ أن أنظـر حولـي جيـداً إذا أردت أن أعـبر الطريـق، فأنظـر يمينـاً ويسـاراً وأتأكـد أنـه لا يوجـد سـيارات، أو غيرهـا قريبـة مـني، إلى غـير ذلـك مـن أشـياء لا أتذكرهـا الآن، ولكـني وبصـرف النظـر عـن ذلـك، لم أكـن أنتبـه لهـذه الأشـياء في كل مـرة أنـزل فيهـا، فمـاذا عسـى أن يحـدث إذا لم أنفـذ ذلـك، لا أعتقـد أنـه سـيحدث شـيء !!.

بـدأ اليـوم الدراسـي، وكان واضحـاً ذلـك النقـص في عـدد الطلبـة في جميـع الصفـوف الدراسـية، لذلـك فقـد قامـت إدارة المدرسـة بجمـع بعـض الفصـول وجعلهـا فصـلاً واحـداً، ثـم بـدأت الحصـص المدرسـية وسـار اليـوم بشـكل طبيعـي حتـى الحصـة الثالثـة والـتي كان مـن المفـروض بعدهـا ميعـاد وقـت الراحـة، ولكـن المـدرس الـذي كان عندنـا في هـذا الوقـت رفـض ذلـك وأراد أن يجعلنـا نجلـس ونسـتمع لـه في

وقت الراحة بحجة أنه يريد أن ينهي الدرس كاملا لأننا في الفصل الدراسي الثاني وهو قصير بطبعه، وكما هو معتاد حدث هرج ومرج ما لبث أن انتهى، وبدأ المدرس يكمل الشرح.

كنت أشعر بضيق كبير، ها هو الوقت الذي كنت أنتظره منذ الصباح حتى أعطي فيه الجواب لخالد يضيع، وقد لا أستطيع أن أراه في وقت الخروج والعودة إلى المنزل، لذلك فقد قررت أن أعطيه له في غفلة من المدرس، ولكن كيف أخبره أصلاً أنني أريد منه أن يفعل ذلك، فهو لا يعرف شيئاً عن الموضوع أصلاً.

كان خالد يجلس خلفي، لذلك عدت بظهري إلى الوراء، وناديت عليه بصوت خافت :

— «خالد... خالد».

— «نعم يا مازن... ماذا تريد ؟».

انحنى خالد بظهره إلى الأمام ليقترب مني ويسمعني بوضوح، فأخبرته أنني أريد منه أن يرسل الورقة التي معي إلى سمير، ووافق على ذلك، ومن سعادتي أخرجت الرسالة من حقيبتي ولم ألاحظ أن المدرس قد انتبه لذلك، وقال لي :

— «ما هذا يا مازن ؟».

— «لا شيء يا أستاذ».

— «أرني يا مازن، لا تخف».

اقترب مني وأخذ الرسالة، وبدأ يقرأها بصوت خافت، وأخذ يبدي ملاحظاته عليها، وأكثر ما أزعجني أنه كان يعدل عليها بقلمه الجاف، وكان يقول :

— «هذه لا تكتب هكذا، وهذه إملائياً خطأ، وهذه مرفوعة، وهذه مجرورة.....إلخ».

انفجرت غاضباً :.....

— «ماذا تفعل، هذه رسالتي، لماذا تفسدها ؟!».

— «ماذا..... ماذا تقول يا ولد، تأدب».

أخذت الورقة من يده، وجلست مكاني أشعر بحزن عميق، ما هذا؟! ، لم يكن ينبغي أن يحدث هذا، لن أرسل هذه الرسالة.

نعم... كان هذا هو قراري، وبنهاية اليوم الدراسي قمت بتمزيقها، وكم كنت أتمزَّق من داخلي ولكنه في النهاية..... اختياري.

الفصل السابع

ها هو قد جاء، وقد استعد له الناس جيداً، وكنت أرى ذلك بنفسي كل يوم وأنا ذاهب للمدرسة، الطرق قد نظفت وكذا المنازل أيضا، الزينة قد احتلت الشوارع في كل مكان، حتى المدارس والبيوت.

الناس يسلمون على بعضهم في كل مكان حتى ولو لم يكن هناك أي علاقة بينهم، الوجوه مبتسمة والفرحة تعم كل مكان، كم أنا سعيد بهذه الأجواء الرائعة، ولا يكدر سعادتي في هذا اليوم إلا ذلك الصداع والدوار الذي أشعر به منذ الصباح، فأنا لم أفطر مع أبي وأمي كالعادة، في الواقع أبي وأمي لم يفطرا اليوم أيضا، وكذا زملائي والمدرسون، فاليوم يوم خاص جداً في حياة الجميع، اليوم هو أول أيام شهر رمضان!.

كانت هذه هي تجربتي الأولى للصيام، ولا أعرف لماذا كل هذا، في الواقع كنت أطلب من والدي كثيراً في السنوات السابقة أن أصوم مثلهم وكانوا يرفضون لأنني كنت ضعيفاً جداً ولا أتحمل الصيام، ولكنهم أخبروني أنني سأبدأ التدريب على الصيام هذا العام، وها أنا ذاهب إلى المدرسة، وفي طريقي قابلت العديد من المحلات التي تبيع شتى المأكولات والمشروبات، يا لهذا الشعور

في داخلي، ولكني على الأقل اليوم وعند دخول الأستاذ إلى الفصل سائلاً هذا السؤال المعتاد الذي يسأله كل عام في نفس الوقت سأجيبه وبأعلى صوتي....

— «أنا صائم».

جاء أبي ليأخذني من المدرسة حتى نعود سوياً للبيت على غير عادته، فهو لم يفعل ذلك منذ فترة طويلة، ولكنها بصراحة كانت لحظة رائعة عندما وجدته أمامي ذلك اليوم، وخاصة أنني كنت أشعر أنها نهايتي، فالصداع قد تملك مني وأشعر بهبوط حاد، وأكاد لا أرى أمامي و... و.....

— «مازن... هيا استيقظ حان وقت الذهاب للمدرسة.... هيا».

— «مدرسة»....

ماهذا لقد كنت أحلم، لا أعرف لماذا يراودني هذا الحلم كل عام باقتراب حلول شهر رمضان، وفي الحقيقة لقد حدث ذلك فعلاً وأنا في الصف الثالث الابتدائي، ولكن ليس بهذا الهول، ولكني بالتأكيد عليَّ أن أتحمل ذلك،» فالصيام فريضة علينا نحن المسلمون»، هكذا يقول أبي، ولكن لماذا أصوم، ما فائدة كل هذا العناء من الجوع والعطش، يخبرني أبي دائماً أن لهذا فائدة وحكمة وها أنا أنتظر حتى أكبر وأتفهم ذلك.....

أنا الآن في الصف السادس الابتدائي، وعلى غير العادة فقد جاء رمضان هذا العام مبكراً مع بداية دراستي تماماً، وصراحة لم أعد أطيق ذلك، جوع وعطش ودراسة.. ماذا ينقصني أكثر من ذلك.

كنت أرى في خروجي من البيت فرصة لأتناول أي شيء يخفف عني ذلك، ولكن لا أعرف لماذا لم أكن أفعل، عندما كنت أمسك بعلبة عصير، أو قطعة من الخبز كنت أشعر بسعادة كبيرة، ولكن في ذات الوقت أشعر بشعور غريب داخلي لا أفهمه.... هناك شيء خاطئ..... أجل..... إنه الشيء الذي أحاول أن أفعله.....

- «ماهذا... ماذا تفعل يا مازن ؟!».

- «من ؟!.... وليد.... إحم.... لا... لا شيء.. أ...أ...أ...أنا فقط كنت... أنا».

- «أعرف..... أعرف.... بالتأكيد أحضرتها معك حتى إذا جاء موعد الإفطار تناولتها، أليس كذلك».

- «أجل... أجل صحيح..... وكيف عرفت ؟.....كم أنت نبيه يا وليد».

- «أنا أعرف كل شيء يا مازن، هل تظنني غبياً».

- «هههههههه..... حسناً..... هيا بنا نذهب للفصل».

كان مجيئ وليد في هذه اللحظة مربكاً لي بعض الشيء، ولكني أحمد الله على ذلك، لقد كدت أفعل شيئاً بالتأكيد كنت سأندم عليه كثيراً في المستقبل... الحمد لله.

مر الشهر سريعاً هذا العام، وجاءت الأجازة التي ينتظرها الجميع، ما أحلى هذه الأجازة وخصوصاً أنها تأتي أثناء عام دراسي بالتأكيد سيكون شاق علينا، إنها نهاية المرحلة الابتدائية، وعليَّ أن أحافظ على تفوقي الذي أهدرته في العام الماضي، نعم...

لقد كان العام الماضي سيئاً من حيث النتيجة، فلأول مرة في حياتي أخرج من امتحانات نهاية العام دون الحصول على أي ترتيب وسط زملائي، لم أهتم بهذا الأمر كثيراً، وحتى أبي وأمي لم يعيراه اهتمامهما، فقد كان تركيزهما على هذه السنة أكبر، أرادا مني تعويض ما فاتني وكان عليّ فعل ذلك، فالتفوق متعة لا يشعر بها بحق إلا من فقدها لفترة، هكذا تقول أمي دائماً.

لم أكن أشعر بتلك الرغبة الجامحة في الدراسة التي كنت أستشعرها من قبل في سنواتي الدراسية السابقة، لا أعرف لماذا، ولكن ما أعرفه أن هناك حلقة مفقودة، المتعة غير موجودة، وأرى أن المدرسين يتعاملون بجدية صارمة وكأن هذه السنة هي نهاية العالم.

كان جواً كئيباً بالنسبة لي، وشعرت برغبة غريبة في ترك المدرسة، وكنت أتمنى ذلك بقوة، فأبي على أية حال يذاكر لي دروسي فلماذا أذهب إلى ذلك المكان الذي أصبح موحشاً بالنسبة لي، ولماذا أتعب نفسي في تلك الواجبات المدرسية التي لا أرى فائدة لها على الإطلاق، أشعر برغبة قوية في ترك المدرسة.

وكأن الأحلام تتحقق، أجل..... فها هو حلمي في ترك المدرسة لفترة يتحقق أمامي، بل ولفترة قياسية من وجهة نظري، فشهران دون مدرسة بالتأكيد هو شيء رائع، لكن لم أكن أتمنى أن يتم ذلك بتلك الطريقة، لماذا عندما أحصل على الأجازة التي أتمناها، أحصل عليها في غياب أبي وأمي، نعم.... فهما سيسافران هذا العام لأداء فريضة الحج، وهما سعيدان بذلك، ولكني لا أشعر بتلك السعادة على النقيض تماماً، أشعر بحزن عميق وتمنيت ألا يتم ذلك الأمر، ولكن كان علي أن أعلم أنه ليست كل الأحلام

تتحقق، فقد تم ذلك فعلا، وقد عهدا بي إلى بعض أقربائي ليتولوني بالرعاية حتى يعودا، ورغم أنهم لا يزالون في اليوم الأول فقط من السفر، إلا أنني فعلاً قد اشتقت لهم كثيراً.

- «ألو.... ألو... أبي هل تسمعني».
- «أجل يا مازن... كيف حالك يا بني ؟».
- «بخير يا أبي، ما أحوالك وما أحوال أمي، هل هي معك».
- «أجل يا مازن، واطمئن يا بني، نحن بخير وسنعود قريباً، فقط كن مطيعاً واهتم بدروسك».
- «حسناً يا أبي... سأفعل.... إلى اللقاء».

بدأت أعتاد على هذا الأمر، وشعرت أنه عليّ أن أستمتع بما أنا فيه الآن، على الأقل فأنا لا أذهب إلى المدرسة، وبدأت أهمل دروسي قليلاً.....

احم.... في الواقع، لم أكن أذاكر على الإطلاق، نعم..... يا لهذا الشعور الذي أشعر به الآن، ولكني على الرغم من ذلك، فلم تكن هناك متع كثيرة أفعلها، فعلي أن أشاهد ذلك المسلسل الذي يأتي كل يوم في نفس الميعاد؛ لأن جميع من في البيت سيشاهدونه، وكذا علي أن أشاهد تلك المباريات في التلفاز، لا أعرف ما الفائدة من وجود اثنين وعشرين لاعباً يهرولون خلف كرة صغيرة، فهذا يصرخ وهذا يضحك ولا أجد سببا لذلك، كم اشتقت إلى أفلام الكرتون! ، أين أنت يا حاسوبي العزيز، إلى متى عليّ أن أتحمل هذه الأسرة، لقد تعبت حقاً، وتمنيت أن أعود

إلى المدرسة وبقوة، وكم تعجبت من هذا الأمر، أليست هذه هي الأجازة التي كنت أحلم بها، أليس هذا ما تمنيته، نعم.... لم أكن أتمنى حدوثه بهذه الطريقة ولا بهذا الأسلوب الذي تم به، وحقيقة لم أجد نفسي سعيداً وأنا أفعل ذلك، ولكني كما يقول أبي دائماً إننا نمر بتجارب ومواقف في الحياة لنتعلم، وإذا كنت تعلمت شيئاً من هذه التجربة فهو بالتأكيد أنني أدركت أن هذه هي الحياة

«فأبداً لن تعطيك الحياة كل ما تتمناه»

الفصل الثامن

يـا لهـذا الجـو الرائـع، ويـا لهـذه السـعادة الغامـرة الـتي أشـعر بهـا، أشـعر بـدفء يسـري في عروقـي وأعماقـي، أتحـدث مـع والـدي كمـا لم أتحـدث مـن قبـل، نعـم.... لقـد عـادا بعـد أداء فريضـة الحج، وكان ذلـك متزامنـاً مـع أجـازة نصـف العـام، ومـن يهتـم بذلـك، المهـم أنهمـا قـد عـادا بسـلام.

وكأنـي أسمعـه لأول مـرة، بـدأ أبـي يحدثـني عـن روعـة المـكان وعن مـا شـاهده، وعـن المواقـف الـتي مـر بهـا، وكـذا فعلـت أمـي، كنـت متأثـرا جـدا بهـذا الحديـث، وكنـت سـعيداً جـداً في نفـس الوقـت، وكان علـي أن أسـتمتع جيـداً بـكل لحظـة أمـر بهـا الآن، فأنـا أعـرف جيـداً مـاذا ينتظرنـي خـلال أيـام، أو بالأحـرى بعـد أسـبوع واحـد مـن الآن، أجـل... إنـه وقـت العـودة للمدرسـة !.

كانـت العـودة صعبـة هـذه المـرة، فأنـا لسـت فقـط في مرحلـة ختامية لمرحلـتي الابتدائيـة، ولكـني أيضـا كنـت مهمـلاً في دروسـي إلى أبعـد الحـدود، ففـي الواقـع أنـا حتـى لا أعـرف مـا هـو مقـرر علـيّ مـن الدروس، شـعرت أنني عالق في ورطة كبيرة، وكان عليّ أن أخرج منها.

فكـرت كثـيراً ولكـن دون جـدوى، أنـا حتـى لا أفهـم مـا يقولـه زملائـي، عـن مـاذا يتحدثـون، شـعرت فجـأة أنـني أجلـس وسـط

علمـاء هـذا العصـر، وأنـي «أُمِّـيّ» لا أعـرف القـراءة والكتابـة.

فكـرة الرسـوب تملكـت مـني بشـكل كبـير لأول مـرة في حياتـي، وليـس هـذا وفقـط، بـل إنـني بـدأت أتخيـل ذلـك فعـلاً وأرى نفسـي وقـد رسـبت، وهـا هـو أبـي يلومـني علـى ذلـك، وهـا هـي أمـي أيضـاً تسـقط مـن هـول المفاجـأة، مـا هـذا، لمـاذا أصبحـت الدنيـا كابوسـاً لا أقـدر حتـى علـى الاسـتيقاظ منه...لا....لا...ما هذا لقد اسـتيقظت ! !.

— «مازن.. تعال».

— «حسناً أبي.. ماذا هناك ؟».

— «حسناً يا مازن...عليك أن تبدأ».

— «أبدأ ماذا ؟».

— «تبدأ في التخطيط لما تبقى من هذا العام».

— «لا أفهم ما تريد قوله يا أبي».

— «حسـناً يـا مـازن، غـداً سـيبدأ الفصـل الدراسـي الثانـي، وكمـا أرى فواضـح تمامـاً أنـك لا تعـرف أي شـيء عـن دروسـك إلى الآن».

— «ثم؟ ! ».

— «عليـك أيضـاً أن تعلـم أن زملائـك بالصـف سـبقوك كثـيراً، ولكـني أبشـرك أن الوقـت لا يـزال كافيـاً لتفعـل أي شـيء تريـده».

— «إذاً؟».

— «عليـك أن تقـوم بعمـل جـدول دراسـي خـاص بـك، وتقـوم فيـه بترتيـب مـوادك وتقسـيمها بالشـكل المطلـوب، حتـى يتسـنى لـك

تحصيلها قبل موعد الامتحانات».

— «حسناً يا أبي، فلنبدأ إذاً».

شعرت بحماس كبير ورغبة قوية في المذاكرة والتفوق، وبدأت أشعر بتلك الأحاسيس التي انتابتني وأنا في الصف الأول الابتدائي، بدأت أتذكر هذه اللحظات الرائعة، وبدأ أبي يساعدني في استذكار دروسي، نعم... كان أمراً شاقاً في البداية، ولكن النتائج المحققة في نهاية هذا العام كانت مذهلة، فعلى غير المتوقع، لقد تفوقت على نفسي هذه المرة، وشعرت بفرحة لم أعهدها من قبل، فأنا فقط لم أتفوق على زملائي في النتيجة ولكني ولأول مرة في حياتي أحصل على ترتيب مائة بالمائة، كان أمراً رائعاً بالفعل، خاصة أنه جاء بعد عناء وتعب كبيرين.

لقد كانت سعادة أبي وأمي بهذا التفوق لا توصف، وشعرت في داخلي أن هذا هو أفضل شيء حدث في حياتي، فبعد ما حدث في العام الماضي وما رأيته من حزن في عينهما، كنت بالفعل أريد أن أعوضهما عن ذلك، وقد حدث، نعم... أشعر الآن أني قد أنجزت حقاً، أشعر بالرضا التام عن نفسي وعن إنجازي لهذه السنة، بل إنني أشعر أنني بالفعل قد وصلت إلى قمة النجاح، وأن هدفي قد تحقق، فماذا أريد أكثر من ذلك ؟!!.

بدأت المكالمات تنهال علينا من هنا وهناك، ها هم الأهل والأصدقاء والأحبة والجيران.... والمزيد والمزيد يهنئون والدي وكذلك أنا، تحول البيت بين ليلة وضحاها، لماذا كل هذا ؟ هل ما حققته يستحق ذلك كله ؟... لا أعرف ربما.... ولكني وعلى

أيـة حـال، بـدأت أشـعر بالضيـق مـن ذلـك الأمر، فمنـذ إعـلان النتيجة وجـرس الهاتـف لا يهـدأ، وطبعـاً علـيّ في كل مـرة أن أذهـب وأسـلم علـى ذلـك المتصـل الـذي لا أعرفـه أصـلاً، وأسـتمع إلى تلـك المكالمـات المكـررة الـتي أشـعر وهـم يرددونهـا لـي وكأنهـم يقفـون بجانـب بعضهم البعـض وكل منهـم يمليهـا علـى الآخـر، فالكلمـات كمـا هـي لا تتغـير ولا تعديـل.... «تهانينـا»، «مـبروك»، «أحسـنت»، «نريد المزيـد».....

ولكـن مـاذا عسـاي أن أفعـل، فحتـى أنـا لم أغـير مـن ردي علـى هـذه الكلمـات..... «حسـناً»، «شـكراً».....

فـإذا كنـت لم أغـير حرفـاً واحـداً حتى، فلمـاذا أنتظر منهـم ذلك؟!.

لم تكـن كل هـذه الاتصـالات بهـذا السـوء علـى مـا أعتقـد، نعـم.... فـإذا كانـت مشـكلتي في معظـم هـذه الاتصـالات أنهـا كانـت تأتـي وأنـا أتابـع فيلمـا كرتونيـا، وبطبيعـة الحـال فـكان علـي أن أتـرك ذلـك وأقـوم بالـرد علـى الهاتـف، الأمـر الـذي سـاءني كثـيراً، ولكـني كذلـك لا أنكـر أن بعضـا مـن هـذه الاتصـالات كان لـه مـردود ايجابـي نوعـا مـا، فاتصـال المدرسـين بـي أمـر لم أكـن أتوقعـه علـى الإطـلاق، وقـد حـرص كل منهـم علـى أن يسـدي لـي النصيحـة، ولم يكتفـوا فقـط بتهنئـتي، ولكـن في الحقيقـة مكالمـة واحـدة فقـط هـي الـتي أثـرت في، لا أدري لمـاذا، فهـا هـي إحـدى معلماتـي تحدثـني عـبر الهاتـف لتهنئـني، ثـم قالـت هـذه الجملـة الـتي لم أفهـم مـاذا تقصـد بهـا، ولكـني بالتأكيـد سـأتفهم ذلـك يومـاً مـا.....

— «اعلـم يـا مـازن أنـه مـن السـهل الوصـول إلى القمـة، ولكـن مـن الصعـب الحفـاظ عليهـا».

الفصل التاسع

- «هيا يا مازن..... استيقظ هيا».
- «أفف... حسناً..... حسناً.....» (قلتها بغضب).

ثم أتبعتها محدثاً نفسي قائلاً.....

- «حسناً ماذا ينتظرون مني الآن، هل يتوقعون أن أذهب لتناول الإفطار معهم ثم أذهب إلى المدرسة».
- «يا ريت... بل إنهم سيقبلونك ويطلبوا منك أن تركز في دروسك وأن تنتبه للمدرسين وأن تحذر من كذا وكذا وأن تنتبه لكذا وكذا وتتحدث مع فلان وفلان ولا تتحدث مع فلان وفلان».
- «ولكن لماذا كل هذا عليهم أن يدركوا أنني قد كبرت الآن بما يكفي ولم أعد أحتاج لهذه النصائح، بل إنني في الواقع لا أرى أنها تمثل أي فائدة على الإطلاق».
- «ماذا ستفعل الآن، هل ستنصاع إلى ذلك، هل ستتركهم يتحكمون فيك.. عليك أن تثبت أنك أصبحت يافعاً بما يكفي الآن.. أجل لقد أصبحت رجلاً قوياً وتستطيع أن تفعل ما تشاء..... نعم».

قاطعت أمي حديثي مع نفسي قائلةً :

— «هيا بسرعة يا مازن، ستتأخر».

— «حاضر يا....يا.....».

عدت محدثاً نفسي.....

— «ويحك ماذا كدت أن تفعل الآن إنك تدمر كل شيء، هل هذا ما اتفقنا عليه ؟!».

— «ولكنها أمي على أية حال».

— «مهما يكن، فإذا لم تكن رجلاً في بيتك فأين ستكون كذلك، انظر لنفسك يا رجل لقد كبرت وتغير صوتك لم تعد ذلك الفتى الصغير المدلل وعليك أن تبرهن على ذلك منذ اللحظة».

— «وماذا إن غضبوا مني».

— «وماذا في ذلك أيضاً، هل أنت خائف منهم، ماذا عساهم أن يفعلوا لك، هيا توقف عن التفكير كالأطفال لقد أصبحت شاباً في الإعدادية الآن وعليهم أن يتقبلوا الأمر».

دخل أبي إلى غرفتي قائلاً :

— «ألم تسمع صراخ أمك منذ الصباح يا مازن، لماذا لم تأت إلى هناك، هيا فعلينا أن نتناول الإفطار سريعاً حتى لا تتأخر عن مدرستك وحتى لا أتأخر أنا أيضاً على عملي، أم أنك لا تنوي الذهاب إلى المدرسة، هيا يا رجل نحتاج إلى مزيد من التفوق».

— «لن أذهب إلى المدرسة يا أبي».

- «ماذا !!...»

قالها أبي مندهشا.

- «كما سمعت».

تركني أبي وخرج، ولم يتحدث بكلمة واحدة، وبالتأكيد سيذهب الآن ويخبر أمي بما حدث، يا ترى كيف سيكون ردها، أتمني فقط ألا تصاب بالإغماء حيال سماعها ذلك.

مرت دقائق قليلة، ولكنها مرت علي وكأنها ساعات، فأنا على سريري أنتظر أي رد فعل منهما على ما فعلت، ولكن لم يحدث شيء، قمت متسللاً باتجاه باب غرفتي باحثاً عنهما، فإذا بهما يجلسان على المائدة ويتناولان الإفطار وكأن شيئا لم يحدث، ولكن ما...ما هذا؟!..... إنه طبق البيض المفضل بالنسبة لي..... بالتأكيد لا يجب أن أضيع هذا الطبق من يدي الآن.

عدت إلى سريري وقمت بارتداء ساعتي وهممت أن أنطلق الآن نحو المائدة، ولكن عاد ذلك الشخص الذي حتى لا أعرف ماهيته يتحدث من أعماقي قائلاً :

- «انتظر..... ماذا ستفعل..... هل ستستسلم بهذه السهولة ؟».

- «أي استسلام هذا الذي تتحدث عنه، لقد فعلت ما يجب فعله وأخبرت أبي أني غير ذاهب إلى المدرسة، وأعتقد أنه قد أدرك أني قد كبرت».

- «وماذا الآن..... تخرج الآن وتذهب وتأكل معهم ؟!!!».

- «وماذا في ذلك.. إنهم أهلي على أي حال».

- «إذا فعلت ذلك سيعتقدون أنك ما زلت صغيراً وأنه لا ينبغي عليهم أن يتركوك الآن تتصرف وحدك».

- «ما هذا الهراء... كل هذا من أجل طبق بيض».

- «أنت لا تدري ماذا تفعل، إنك بذلك تضع نهاية مبكرة لكل ما بدأناه، هل تريد أن تعود إلى ما كنت عليه، حسناً فلتخرج الآن وتذهب وتأكل معهم وتذهب إلى المدرسة... هيا ماذا تنتظر».

- «إنك على حق، ولكن...».

- «لا يوجد ولكن.. إنه قرار نهائي.. لا خروج».

- «أووووه..... بطني... إلى متى علي أن أتحمل ذلك !».

لا أعرف مع من أتحدث حتى... هل جننت بعد أن أنهيت المرحلة الابتدائية...

بدأت هذه الأصوات تظهر داخلي، ولكنها أشخاص تعيش معي... تتحرك معي...تنام معي... تستيقظ معي... ولكن... من هؤلاء ؟!، ولماذا أنا بالذات ؟!، ولماذا علي أن أقبل بهذا الوضع... أشعر أني ليس لي خيار، بل أشعر أن هناك من يقوم بإدارة شؤوني رغماً عني.

ولكن على أية حال فأنا أشعر أنه قد حان وقت التغيير من الآن، أجل... هكذا كان يحدثني ذلك الشخص الكائن في أعماقي.....

لقد كبرت وعلي أن أتخذ قراراتي بنفسي، وعلى والدي أن يدركا ذلك، وليس هما فقط، بل على الجميع أيضا أن يدركوا ذلك، فمن الآن لم أعد مازن الذي عاهدوه صغيرا.... طيباً.... مؤدباً.... مطيعاً....

لقد كنت ضعيفاً، أما الآن وبعد أن أصبحت قوياً فلن يقدر أحد على إيقافي، وعلى الجميع أن يتعلم كيف يتعامل مع هذا الرجل... نعم الرجل.. «مازن».

الفصل العاشر

انتظرت حتى ذهب أبي إلى عمله، وذهبت إلى أمي وطلبت منها أن تحضر لي الفطور، فأنا لم آكل شيئاً منذ الصباح، وها قد اقتربنا من وقت الظهيرة....

— «أمي... أمي.. أنا جائع».

ما هذا إنها لا تجيب... علَّها لم تسمع، أو أنها مشغولة بالتفكير في شيء ما، بدأت أرفع صوتي....

— «أمي.... أمي.... أنا جاااائع».

هه.... إنها أيضا لا ترد، ولكني متأكد أنها سمعتني هذه المرة، فلقد نظرت إليَّ ثم التفتت عني مرة أخرى....

— «لماذا لا تجيبينني ؟! ألا تسمعينني ؟!».

نظرت إلى هذه المرة بطريقة حادة، ولكنها أيضا لم ترد، كاد صمتها أن يقتلني....

خرجت مندفعا إلى غرفتي وأغلقت الباب، وأخذت أفكر فيما يحدث لي، وما هي إلا لحظات وإذا بي أنهمر في البكاء ولكني كنت كاتماً صوتي فلم أكن أريد أن تراني على هذه الحالة أبداً،

فقد أصبحت كبيراً الآن، لن أدعها تراني أبكي أبداً، وإلا ستعتقد أنني مازلت طفلاً.

بدأ ذلك الصوت داخلي يحدثني مجدداً..

- «هدئ من روعك يا رجل.. ما الذي حدث لكل هذا ؟».

- «إن أمي لا ترد عليّ ولا أعرف لماذا».

- «وماذا كنت تنتظر.... ألم أخبرك من قبل أنهم لا يدركون أنك قد أصبحت كبيراً الآن بما يكفي لتدير شؤون نفسك».

- «ولكني لم أعد أحتمل ذلك».

- «إذا كنت لا تقدر على العيش هنا فعليك بالهرب يا مازن! !.. نعم اهرب يا مازن... اهرب يا مازن.....».

بدأت هذه الفكرة تتردد داخلي بقوة ولا أعرف لماذا؟، ولكني وجدت نفسي متردداً بعض الشيء، فحتى إذا هربت فإلى أين سأذهب وماذا سأفعل ! !.

أسئلة تدور في رأسي ولا أجد إجابة عليها، ووسط ذلك إذا بأبي يدخل علي من باب غرفتي ويخبرني أنه قد حان وقت الغذاء، خرجت مندفعًا من غرفتي باتجاه الطاولة مباشرة، فلم أكن أفكر في أي شيء في ذلك الوقت سوى الطعام، فأنا لم أتناول شيئًا منذ الصباح، وها هي الساعة تشير إلى الرابعة عصراً، إن الجوع يكاد أن يقتلني لدرجة أنني نسيت حتى هذه الافكار التي كانت تخطر لي منذ الصباح، وتمنيت أنها لم تخطر لى ببال، ولكن على أية حال، ها هي الأمور قد عادت لطبيعتها، ولكني

بالتأكيد لم أنس تلك النظرات التي نظرتها أمي لي، بل إنني لن أنسى أبداً أنني كنت أناديها وهي تسمعني ومع ذلك لم ترد عليّ، ولذلك فقد تعمدت ألا أتحدث معها وأنا على مائدة الطعام....

وبعد أن تناولت طعامي، ذهبت إلى غرفتي دون حتى أن أنظر لأحد، وإذا بأبي يأتي بعد دقائق قائلا :

— «بعضاً من زملائك جاؤني اليوم ليسألوا عنك»...

سألته بلهفة :

— «وماذا قلت لهم ؟»....

— «وهل يهمك الأمر ؟»....

— «طبعاً يا أبي، إنهم أصدقائي الذين أحبهم ويحبونني»..

— «وعندما كنت مريضاً، من الذي سهر بجانبك الليالي، وعندما كنت تحتاج إلى طعام من الذي كان يعده لك، وعندما كنت تحتاج للملابس من الذي كان يجهزها لك... هل أصدقائك هم من كانوا يفعلون ذلك ؟!!»...

نظرت بخجل إلى الأرض واحمر وجهي ولم أنطق بكلمة، فبادر أبي بالحديث قائلا :

— «وها أنت الآن تنكر ذلك كله، وتنكر فضل أمك عليك وترفع صوتك على من علمتك الكلام، وتركل الباب في وجهها.. هل بهذه الطريقة ترد جميلها وفضلها ؟؟».

– «ولكن يا أبي»...

قاطعني أبي بصوت مرتفع غاضبا :

– «من دون ولكن، اذهب إلى أمك الآن واطلب منها أن تسامحك وإلا فلن أحدثك ما حييت»....

خرجت وأنا أشعر بخزي كبير، كل ذلك بسبب هذا اللعين الذي كان يحدثني وأنا حتى لا أعرف من هو، دخلت على أمي غرفتها واعتذرت منها، فإذا بها تضمني إليها وتقبلني....

انهمرت في البكاء، ضمتني إلى صدرها وشعرت بدفء وحنان كبيرين وتمنيت أن ذلك الصباح لم يأت عليّ أصلاً.

ولكني بالتأكيد قد تعلمت الكثير في هذا اليوم، وبالتأكيد سيكون حسابي معك عسيراً أيها الـ..... أيها الـ... أيها «اللعين».

مرت طفولة مازن، وبدأ عصر جديد في حياته..... إنها تلك الفترة التي تتوسط الطفولة والنضج..... فترة تبدو لمعظمنا بلا ملامح... فترة نسأل فيها كثيراً ونثور فيها كثيراً... نتمرد فيها على طفولة عشناها ببراءة لا مثيل لها.... نحاول فهم الكثير، ونحن لم ندرك من العلم إلا قلة القليل.....

عشنا بين طيات هذه القصة مواقف عديدة، وربما تذكرنا بعضاً من أجمل ذكريات طفولتنا، حتى تلك التي شعرنا فيها بالخوف أو بقلة الحيلة وقتها، نتذكرها اليوم مع شعور مغاير هو أقرب للبهجة والفرح، وربما تبعناها بضحكة صافية كنا قد نسيناها مع تقدم الزمن....

في طفولتنا كنا جميعا متشابهين، نتحرك في الحياة بمحض فطرتنا بلا شوائب، نفرح للأسباب ذاتها، وكلمة طيبة تشعرنا أننا نملك الدنيا وما فيها....

ومع بداية مرحلة المراهقة تبدأ قصصنا في الاختلاف، وما بين ليلة وضحاها، نكتشف عالمنا بنظرة مختلفة، وبقوة مغايرة، ونعيش حياة لا تمت للآخرين بصلة.....

ولذلك فقد قررت أن أترك لك عزيزي القارئ ما تبقى من صفحات تلك القصة خاليا، وأعيرك قلمي لتبدأ أنت في سرد أحداثها بالطريقة التي تراها مناسبة، وبالشكل الذي يحلو لك.

استراحة
درر ثمينة تعكس واقعنا اليوم

(مقال أعجبني للدكتور علي الصلابي)

سَألَ عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه

عن رجلٍ ما إذا كان أحدُ الحاضرين يعرفه

فقام رجلٌ وقال :

– أنا أعرفه يا أمير المؤمنين.

فقال عمر :

– لعلّكَ جاره، فالجارُ أعلمُ النّاس بأخلاقِ جيرانه ؟

فقال الرّجلُ :

– لا

فقال عمر :

– لعلّكَ صاحبته في سَفرٍ، فالأسفار مكشفة للطباع ؟

فقال الرّجلُ :

– لا

فقال عمر :

– لعلّكَ تاجرتَ معه فعاملته بالدّرهمِ والدّينارِ، فالدّرهمُ والدّينار يكشفان معادن الرّجال ؟

فقال الرّجلُ :

– لا

فقال عمر :

– لعلّك رأيته في المسجدِ يهزُّ رأسَه قائماً وقاعداً ؟

فقال الرّجلُ :

– أجل

فقال عمر :

– اجلسْ فإنّكَ لا تعرفه

***

– كان ابن الخطّابِ يعرِفُ أنّ المرءَ من الممكن أن يخلعَ دينه على عتبةِ المسجد ثم ينتعلَ حذاءَه ويخرجَ للدّنيا مسعوراً يأكلُ مالَ هذا، وينهشُ عرض ذاك !

– كان يعرفُ أن اللحى من الممكنِ أن تصبحَ متاريسَ يختبىء خلفها لصوصٌ كُثر، وأنّ العباءة السّوداء ليس بالضرورة تحتها امرأةٌ فاضلة !

- كان يعرفُ أن السِّواكَ قد يغدو مِسنّاً نشحذ فيه أسناننا ونأكل لحوم بعض.

- كان يعرفُ أن الصلاةَ من الممكنِ أن تصبحَ مظهراً أنيقاً لمحتال، وأنّ الحجّ من الممكنِ أن يصبحَ عباءةً اجتماعية مرموقة لوضيعٍ !

- كان يؤمنُ أنّ التّديّنَ الذي لا ينعكسُ أثراً في السُّلوكِ هو تديّنٌ أجوف !

- أندونيسيا لم يفتحها المحاربُون بسيوفهم وإنما فتحها التُّجارُ المسلمونَ بأخلاقهم وأماناتهم ! ، فلم يكونوا يبيعون بضائعهم بدينهم، لهذا أُعجبَ النّاسُ بهم وقالوا : يا له من دين !

- الإيمان الكاذب أسوأ من الكُفر الصّريح.

وفي كليهما شرّ !

- والتعاملُ مع الآخرين هو محكُّ التّديّنِ الصحيح.

- إذا لم يلحظ الناسُ الفرقَ بين التّاجر المتديّنِ والتّاجرِ غير المُتديّن فما فائدة التّدينِ إذاً.

- وإذا لم تلحظ الزّوجةُ الفرقَ بين الزّوجِ المُتديّنِ والزّوجِ غير المتديّنِ فما قيمة هذا التّديّن.

والعكس بالعكس !

- وإذا لم يلحظ الأبوان الفرق بين برِّ الولد المُتدَيّنِ وغير المُتدَيّنِ فلماذا هذا التّديّن ؟!

- مصيبةٌ أن لا يكون لنا من حجّنا إلا التّمر، وماء زمزم، وسجاجيد الصلاةِ المصنوعةِ في الصّينِ، ووجباتِ البيك !

- مصيبةٌ أن لا يكونَ لنا من صيامنا إلا السمبوسة، والفيمتو، والتمر هندي، وباب الحارة!
- مصيبةٌ أن تكون الصلوات حركاتٍ سُويديّة تستفيدُ منها العضلاتُ والمفاصلُ ولا يستفيدُ منها القلب !
- مظاهرُ التّديّنِ أمرٌ محمود، ونحنُ نعتزُّ بديننا شكلاً ومضموناً.
- ولكن العيب أن نتمسّكَ بالشّكلِ ونتركَ المضمون.
- فالدّينُ الذي حوّل رعاة الغنمِ إلى قادةٍ للأممِ لم يُغيّر أشكالهم وإنّما غيّر مضامينهم.
- أبو جهل كان يلبسُ ذات العباءة والعمامة التي كان يلبسها أبو بكر !
- ولحية أُميّة بن خلف كانتْ طويلة كلحية عبد الله بن مسعود !
- وسيف عُتبة كان من نفس المعدن الذي كان منه سيف خالد !

تشابهت الأشكالُ واختلفت المضامين

هل أدركنا ماذا يريد منا ديننا؟ إنه العبادة بمفهومها الشامل

كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

هذا هو الإسلام بمضمونه

د. علي الصلابي

القصة الثانية

كلام الناس

محمود :

– سأشتاق إليك صديقي سمير.

سمير :

– وأنا أيضاً سأشتاق إليك يا صديقي محمود.

محمود :

– حسناً لن نفترق كثيراً أسبوعين فقط وستظهر النتيجة، لعلها تكون خيراً بإذن الله.

سمير :

– إلى أين تود الذهاب يا محمود ؟

محمود :

– بصراحة لم أفكر كثيراً في هذا الأمر، أنا فقط أدعو الله أن يوفقني بدرجات مرتفعة تؤهلني لدخول أي كلية وبعدها سأقوم بالتفكير في ذلك الأمر.... هل فكرت أنت يا سمير ؟

سمير :

– طبعاً، إن شاء الله إذا وفقت بدرجات مرتفعة سأقدم أوراقي للالتحاق بكلية الهندسة.

محمود :

– وفقك الله يا صديقي لكل خير... أراك قريباً..... السلام عليكم.

سمير :

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

اليوم كان آخر يوم في امتحانات الثانوية الأزهرية... ذلك الماراثون الطويل خمسة أسابيع من الامتحانات المستمرة تعبر عن عام كامل من التعب والعناء.

وبعد أسبوعين من الآن ينتظر كل طالب وكل بيت أن يحصد نتيجة هذا العناء والتعب.

سمير ومحمود هما أصدقاء الطفولة يدرسان في المعهد الديني منذ المرحلة الابتدائية وهاهما اليوم ينتظر كل منهما أن يعرف مصيره.

هل يكملان مسيرتهما التعليمية معاً... هذا ما كان يتمناه سمير الذي يحلم بأن يصبح مهندسا ناجحا في المستقبل.

بينما محمود والذي لم يكن يخطط لشيء بعينه كان دائما يبحث عن التفوق في دراسته بحثاً عن إرضاء أهله وسعياً للالتحاق بأحد كليات القمة «كما يعتقد الجميع».

أسبوعان لم يذق فيهما سمير طعم الراحة كل الأخبار التي تأتي من النتائج الأولية للتصحيح لا تبشر بخير.

النتائج متدنية وسمير نفسه لم يكن موفقاً بالدرجة التي يتمناها في الاختبارات النهائية.

أسبوعان من الصبر.. أسبوعان من مشورة الأهل والأصدقاء.

ماذا أدخل ؟.... بأي كلية ألتحق ؟.... هل حقاً كلية الهندسة هي الأفضل لي ؟... وماذا لو حققت مجموعاً أكبر هل أترك حلمي وألتحق بتلك الكلية الأعلى ؟.... ثم ماذا سوف أفعل لو لم أحقق هذا المجموع ؟.... أي كلية سأكتب؟

أسئلة كثيرة وكثيرة تدور في ذهنه.

كل يدلي برأية...

هذا يرشحه لكلية الطب نظراً لإمكانياته المعروفة في الحفظ ولأنه يرى أن المستقبل المهني للأطباء وكذا المستقبل المادي يعد هو الأفضل في الفترة الحالية.

كان هذا رأي عمه ممدوح.

وآخر يحثه علي دخول كلية الشريعة والقانون ويعده بأنه إذا ما تفوق في تلك الكلية وكان من الثلاثة الأوائل فإن له وظيفة هو متكفل بها.

وكان هذا رأي ابن عمه مروان.

وثالث ينصحه بالالتحاق بكلية الصيدلة وعلى حسب تعبيره.....

«مرحبا بالكسب السهل كل ما عليك أن تحصل علي شهادتك الجامعية ومن ثم تقوم بافتتاح سلسلة من الصيدليات فروعها هنا وهناك وما عليك سوى إدارتها وربحها سهل ومضمون».

كان هذا هو رأي خاله حسان.

وآخر يقول....وآخر يقول..... وهذا يقول... وسمير تشتد حيرته.

أسبوعان ومشاعر مختلطة ومتقلبه من يوم لآخر... بل من ساعة لأخري فتارة يشعر بالتفاؤل... وتارة يشعر بالخوف.... تارة يشعر بثقة كبيرة وبأنه على أسوء الظروف سيحقق الدرجات التي يتمناها... وتارة أخرى يكاد قلبه ينفطر من الخوف شاعرا بفزع وهلع وهاجس في داخلة يخبرة بأنه بالكاد سيحصل على درجة النجاح في بعض مواده الدراسية.

الوقت يمر ببطئ شديد.....

كان الحال هكذا بالنسبة لسمير، أو ربما تعجز الكلمات أن تعبر بدقة عن مشاعره وأفكاره في هذه الفترة.

و بالانتقال إلى بيت محمود كان الحال مغايراً تماماً.....!!!!!!

محمود لم يكن يفكر كثيراً إلى ما سوف تؤول إليه نتيجته.

أسبوعان من الراحة.....

أسبوعان كانا بالفعل أفضل أيام هذه السنة الطويلة استطاع أن يخرج أو أن يتخلص من أجواء الدراسة والامتحانات وشعر فيها بالراحة بعد العناء وبالمتعة بعد الشقاء.

مر الأسبوعان.....واليوم هو اليوم المنتظر... اليوم سيتم إعلان النتيجة التي ينتظرها الجميع.....

الدقائق تمر كأنها ساعات.....الكل متأهب..... ولحظات من الترقب..... فرقم مكتوب قد يغير مصير شاب بل في الواقع قد يغير حياة اسرة بأكملها.

الهاتف يرن في بيت سمير.

ترن ترن

يندفع سمير رافعا سماعة الهاتف :

- السلام عليكم.

محمود :

- وعليكم السلام ورحمة الله.....مبارك عليك يا سمير.

سمير :

- ماذا، محمود هل حصلت علي النتيجة ؟

محمود :

- أجل يا صديقي.

سمير :

- وما هي النتيجة إني متشوق لمعرفتها.

محمود :

- حسناً أريد أولاً أن أحصل علي مكافأتي.

سمير :

- ليس هذا وقت المزاح أيها الأخرق.

محمود :

- هـهـه هـهـه هـهـه هـهـه هـهـه هـهـه........ حسـنا يـا صديقـي مـن كل قلـبي أهنئـك علـي حصولـك علـي مجمـوع ٩٤٪.

سمير :

- حسنا يا محمود وما هو مجموعك الكلي.

محمود :

- الحمـد لله لقـد حصلـت علـي ٩٨ ٪........ولكـن مـاذا هنـاك يـا سـمـير...... أشـعر أنـك لسـت فرحـاً بنتيجتـك.

سمير :

- لا تقـل ذلـك يـا صديقـي، فقـط كنـت أتمـني الحصـول علـي مجمـوع أكـبر... الحمـد لله علـي كل حـال.

محمود :

- مبارك لك يا صديقي......... وفقك الله لكل خير.

يغلـق سمـير الهاتـف وهـو يشـعر بإحبـاط كبـير وتـكاد الدمـوع تنهمـر مـن عينيـه.

لم يكن يعتقد أبداً أن هذا سيكون مجموعه النهائي.

الآن أصبـح أمـره معلقـا... لا يعـرف هـل سيسـاعده هـذا المجمـوع علـي الالتحـاق بكليـة الهندسـة كمـا كان يتمـني أم لا

يدخل والده إلى الغرفه.

- هل هناك أي أخبار جديدة يا بني ؟

– الحمد لله يا أبي لقد حصلت علي ٩٤ ٪.

– مبارك لك يا ولدي، و هل قررت ما هي وجهتك المقبلة ؟

– سأفكر يا أبي..... ادع لي.

الأن يجب علي سمير أن يقوم بكتابة رغباته وتقديمها إلى الجهات المختصة للالتحاق بأحد كليات الجامعة....

ولكن كيف يرتب رغباته.....

بدأ يعيد علي أسماعه حديث الأقارب والأصدقاء ساعياً للوصول إلى الكلية الأمثل ولكن بلى جدوى وكان قراره النهائي أن يقوم بوضع هذه الكليات بترتيبها من الأعلى إلى الأدنى بداية بكلية الطب ونهاية بالمعاهد المختلفة وأن يترك الأمر لله ـ سبحانه وتعالى ثم لمجموعه الدراسي في تحديد وجهته المقبلة.

و بعد أسبوعين لم يهدأ له فيهما بال..... عليه أن يصبر قرابة الشهرين في انتظار النتيجة.

لم يكن الحال في هذين الشهرين أفضل مما سبق.

آمال معلقة ومشاعر متقلبة وسؤال مستمر من الجيران والأصدقاء حول ما يتوقعه ويتمناه.

اقترب موعد الدراسة ومعها اقترب موعد إعلان نتيجة التنسيق.

وكالعادة ها هو الهاتف يرن مجدداً وسمير يخشى أن تكون هذه المكالمة محبطة كسابقتها، ولكن فضوله ونفاذ صبره يجبرانه على الرد...

سمير :

– السلام عليكم.

محمود :

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

سمير :

– حسناً يا محمود أرجو أن تخبرني بالنتيجة حالاً وبلا مقدمات.

محمود :

– حسناً يا سمير..... مبارك عليك يا دكتور.

سمير :

– ماذا تقول يا محمود ؟!!!!.

محمود :

– كما سمعت يا سمير لقد تم قبولك في كلية الصيدلة..... مبارك.

سمير :

– وإلى أي كلية ذهبت يا محمود.

محمود :

– لقد التحقت بكلية الطب أراك في القاهرة يا صديقي.

سمير :

– إن شاء الله.

أغلق سمير الهاتف..... يكاد عقله أن يتوقف عن التفكير..... هل هو يحلم..... هل ما حدث تواً كان حقيقة

العجيب في الأمر أنه لم يكن يتخيل يوما أنه سيلتحق بأحد الكليات الطبية، فمنذ صغره ومنذ نعومة أظافره كان حلمه وحديثه الدائم أنه سيصبح مهندساً.

هل ما يحدث الآن هو الصواب.

في تلك اللحظة تذكر كلام خاله حسان..... أنصحك بدخول كلية الصيدلة «مرحبا بالكسب السهل».

ذهب سمير إلى والده ليخبره بالنتيجة فتهلل وجهه وضمه إليه بقوة قائلاً :

– أنا فخور بك يا سمير، الآن اثبت لي أن تفرغي لتربيتك وتعليمك بعد وفاة والدتك كان هو الخيار الأفضل وأن تعبي لم يذهب سدى.

سمير :

– وأنا أيضاً يا أبي سعيد بسعادتك..... حسنا يا أبي أنا ذاهب.

الوالد :

– إلى أين ؟

سمير :

– سأحتفل قليلاً مع بعض الأصدقاء.

الوالد :

– تمتع بوقتك يا سمير وكن حذراً مع السلامة.

في الواقع لم يكن سمير ينوي أن يقابل أحداً ورغم أنها كانت الثانية عشر ظهراً إلا أنه تمنى أن يكون الطريق خالياً من المارة...!!!!!!!!!!!

فهو لا يريد سؤالاً من أحد عن النتيجة.

كان يريد أن يجلس منفرداً وأن يعيد ترتيب أفكاره وها هو السؤال ذاته يتكرر.

هل ما يحدث الآن هو الصواب.

بعيداً عن نصيحة خاله كان رد فعل والده وفرحته العارمة سبباً قوياً في تقبل سمير لهذا الوضع لم يفكر كثيراً في التحويل أو في الانتقال من تلك الكلية إلى كلية الهندسة.

ها هي الأجازة تنقضي وها هو يتأهب للسفر إلى الجامعة.

ولكنه يشعر بضيق كبير فهاهم زملائه وأصدقائه الذين تخرجوا من الثانوية العامة يلتحقون بكليات قريبة منهم، بينما هو ليس له أي فرصة إلا في الذهاب إلى القاهرة.

بدأت الدراسة.....

و حزم سمير أمتعته استعداداً للسفر وانطلق بالقطار إلى هناك حيث مقر الجامعة ذلك المكان الذي كان يظن أنه «كما يسمع

من وسائل الإعلام» ذلك الصرح الكبير ومنارة العلم والعلماء..... إلخ إلخ إلخ.

ذهب وهو مفعم بالأمل والطموح في تحقيق التفوق.

ولكن كانت الصدمة عند وصوله إلى مقر الجامعة، بداية من ذلك السور الكبير الذي شعر لأول وهلة أنه التحق بسجن كبير داعياً أن يكون خروجه منها قريباً جداً.

وها هو يتجول في أرجائها باحثاً عن مقر كليته، يقرأ تلك اللافتات التي تشير إلى مكان كليته ولكنه لا يصل إلى شيء.

وبعد سؤال القاصي والداني، ها هو يصل إلى مقر كليته، وما إن دخلها حتى اشتم تلك الروائح الكريهة المنبعثة والمنتشرة في أرجاء الكلية والتي لا تنفك عنها بأي حال من الأحوال.

بدأ يبحث عن من يدله...

أين قاعة المحاضرات ؟

أين مقر شؤون الطلاب ؟

أين مقر تلك المعامل العملاقة ؟

أين.... أين.... أين.... إلخ إلخ إلخ.

ولكن كانت الصدمة عندما قابل صديقه خالد الذي يسبقه دراسياً بعام واحد وهو الآن في عامه الجامعي الثاني بكلية الصيدلة.

هنأه خالد وبدأ سمير في توجيه الأسئلة وكان رد خالد كالتالي:

خالد :

– هل تري هذا الصف هناك ؟

سمير :

– نعم.

خالد :

– بداية توجه إلى هناك وافعل مثلهم.

سأل سمير مندهشاً:

– ولماذا أذهب إلى هناك ؟! ، أليس علي التوجه إلى قاعة المحاضرات؟

أجاب خالد ضاحكا :

– أي قاعة تقصد يا سمير... على أي حال هذا طابور التقديم للكلية، اذهب إلى هناك وأحضر كل أوراقك الرسمية معك.

سمير :

– حسناً..... شكراً يا خالد إذا احتجت إليك في أي أمر سأتصل بك إن شاء الله.

خالد :

– لا تتردد في ذلك يا صديقي... ومرة أخرى مبارك عليك يا دكتور.

كانت إجابات خالد صادمة بالنسبة لسمير، فمن حيث المبدأ لم يكن يتوقع أن الأمور سيئة إلى هذه الدرجة، فإذا كنا قد تم ترشيحنا إلى تلك الكليات فلماذا هذا العناء لتأكيد ذلك.

كان هذا لسان حال سمير.....ولكن.....ما باليد حيلة.

كان الأسبوع الأول بالنسبة لسمير يدور في فلك التقديم لتلك الكلية ومع كل خطوة يخطوها كان يشعر بالتعاسة والألم ولكن كان يصبر في سبيل تحقيق هدف أسمى وهو أن يكون ذو شأن كبير في المستقبل مردداً علي أسماعه «مرحبا بالكسب السهل».

ها هو الأسبوع الثاني يهل على سمير وهو في كل ليلة تحل عليه لا يعرف فيها مأوى محدد فيوم عند هذا وآخر عند ذاك وأصبح جميع أصدقائه يتهربون منه وينفرون من لقائه فقد أصبح عبئاً ثقيلاً عليهم وهو الآن يتمني فقط أن يجد لنفسه مأوى ليستريح وينام فيه آخر اليوم.

ومع شروق الشمس توجه إلى مقر الكلية بعد أن انتهى من تقديم جميع أوراقه المطلوب تقديمها متجهاً إلى قاعة المحاضرات.

كان يشاهد الطلاب على شاشات التلفاز وعلى مواقع الإنترنت المختلفة في تلك القاعات الضخمة والتي لم يكن يتخيل بأي حال من الأحوال أن قاعته ستكون أقل في المستوى مما شاهده من قبل.

ولكن هذا هو الواقع ، صدم بما شاهده، ولكنه في النهاية قرر أن يوجه تركيزه إلى المحاضر وأن يقوم بالاستمتاع بيومه على أي حال.

بدأت المحاضرة... انتهت المحاضرة... الحصيلة تساوي صفر.

لم يكن سمير مدركاً لما يحدث، تقريباً لم يسمع أي شيء.

أعداداً كبيرة.... أصواتاً مرتفعةً.... مكبرات الصوت لا تعمل... وإذا عملت فلا تصدر إلا الضجيج وحتى في لحظات الصمت لم يفهم أي شيء.

قـرر سمـير أن يعـود إلى بيتـه في ذلـك اليـوم بمجـرد خروجـه مـن تلـك المحاضـرة عازمـا علـى عـدم العـودة مـرة أخـرى.

عندمـا دخـل علـى والـده قابلـه بـود كبـير لم يخـف فيـه اندهاشـه مـن عودتـه المبكـرة وخاصـة أنهـا كانـت في منتصـف الأسـبوع وهـو الأمـر الغـير منطقـي.

قال الوالد :

— حمـدًا للّه علـى سـلامتك يـا سمـير..... مـا أخبار الدراسـة... هـل هنـاك أجـازة رسمية أم مـاذا ؟!

سمير :

— لا يا أبي فقط أريد أن أغير وجهتي إلى كلية الهندسة.

بـدت علامـات الصدمـة علـى وجـه والـده ولكنـه تركـه وانصـرف دون أي تعليـق.

كان رد فعـل والـد سمـير بالنسـبة لـه متوقعـاً، لم يكـن يعـرف هـل مـا فعلـه هـو الصـواب أم أنـه تسـرع في قـراره، ومـا هـي إلا عشـر دقائـق وإذا بهاتفـه يـرن.

حسان :

— السلام عليكم.

سمير :

— وعليكم السلام كيف حالك يا خالي.

حسان :

– بخير والحمد لله أخبرني يا سمير هل صحيح ما سمعت من والدك تواً.

سمير :

– نعم أود أن ألتحق بكلية الهندسة، ليس لي مكان في هذه الكلية.

حسان :

– حسناً من الواضح أنك منفعل الآن ولكن لنا حديث هادئ في الغد إن شاء الله استرخي الآن ولا تفكر في شيء.

سمير :

– إن شاء الله أراك على خير يا خالي.

لم ينم سمير طيلة الليل، تفكير كثير، ويكاد أن يجن، ما هو الصواب.

ها هي السابعة صباحاً وها هو خاله يدق جرس الباب.

حسان :

– كيف حالك الآن يا سمير.

سمير :

– بخير والحمد لله.

اندفع سمير بالكلام مُحَدِّثاً خاله عن ما رآه في الكلية وموجهاً حديثه نحو ذلك اليوم الذي كان يحاضرهم فيه ذلك الرجل وعن أجواء تلك المحاضرة التي كانت سبباً في قراره هذا.

سمعه خاله حتى النهاية ثم بدأ في تهدأته وقص عليه قصته عندما كان في سنه عندما كان يرغب في الالتحاق بكلية الصيدلة، ولكن مجموعه في ذلك الوقت أدخله كلية التجارة وأنه شعر بالآسي والحزن كثيراً، فزملائه الذين التحقوا بكلية الصيدلة ها هم الآن يمتلكون الأموال والعقارات بينما هو موظف، وبالكاد استطاع أن يتزوج وهو في سن الثامنة والثلاثين، كما أن من مميزات هذه الكلية سهولة الدراسة..... وكذا..... وكذا..... وكذا.

انتهي الحوار بين سمير وخاله بعدما شعر سمير بأن عليه أن يستمر في دراسته تحقيقاً لحلم خاله ليس أكثر ولا أقل، حتى ولو لم يحقق تلك الإنجازات والمكاسب السابق ذكرها.

استمر سمير في الدراسة.....

وها هو العام يمر بعد العام وهو لا يشعر بأي متعة أو سعادة في دراسته أو حتى في حياته ومع كل يوم يمر عليه وهو بين جدران هذه الكلية يزداد حزنه وألمه على ما فات متمنيا أن يعود به الزمن إلى الوراء لإيقاف ما يحدث وموقنا في قرارة نفسه أنه إذا أتيحت له الفرصة للاختيار مرة أخرى فإنه بالتأكيد لن يختار ذلك المكان.

ها هو سمير يتخرَّج من الجامعه حاملاً في يده الشهادة التي طالما حلم بها خاله حسان وكان أول شيء فعله سمير أن توجه إلى بيت خاله ليريه تلك الشهادة وطالباً منه تحقيق ما وعده به منذ سنوات مذكراً إياه بمقولته الشهيرة

«مرحباً بالكسب السهل».

لم تكن الأمور تسير على ما يرام بالنسبة لسمير فقد شعر بالخذلان من جهة خاله الذي لم يقدم له أي مساعدة وأنَّى له ذلك فما علاقته أصلاً بهذا المجال فكل ما كان يعرفه أنه كان يريد دخول هذه الكلية في صباه، وأن أصدقائه الحاصلون على العالية «البكالوريوس» في الصيدلة... الآن هم أصحاب الأموال والعقارات، ولم يكلفهم ذلك سفر للخارج أو يقوموا بالعمل في أكثر من وظيفة، أو ما شابه ذلك مما يعانيه الشباب عادة في مثل سن سمير.

و بحسب قانون إنشاء الصيدليات في البلاد فلابد أن تكون هناك مسافة بين كل صيدلية وأخرى، ولا يجوز أن يكون هناك اثنان منهما في نفس القطر الذي يحدده المسؤولون عن هذا الأمر، ولم يكن هناك أماكن شاغرة في بلدته أو حتى في البلاد المجاورة، ناهيك عن أنه أصلاً لا يملك الأموال الكافية لافتتاح مكان خاص به حتى وإن توفر ذلك المكان.

الأيام تمر.....

وسمير جالس في منزله لا يدري ماذا يفعل وإلى أين يذهب، حتى والده الذي كان يدفعه في دراسته خاصة وفي حياته عامة، أصبح هو أول من يلومه على جلوسه في المنزل، وأنه لم يعد صغيراً حتى يدفع له والده الأموال ليشتري بها هذا وذاك، وأنه عليه أن يبحث عن عمل ليوفر لنفسه ما يحتاج من مال.

كانت العلاقة بين سمير ووالده متوتره في تلك الفترة... شجار في الصباح وآخر في المساء ولا مانع من بعض الاتهامات المتبادلة بأن أحدهما كان سبباً في ما آلت إليه الأمور الآن....

حتى إن سمير إذا ما ذكر دخوله للكلية واستمراره فيها كان يشير دائماً إلى أن ذلك كان بسبب إلحاح والده وخاله.

وإذا ما ذكره بذلك اليوم حين عاد إلى منزله منذ سنوات وأخبره أنه يريد الذهاب لكلية أخرى يكون جواب والده «المستفز بالنسبه له» :

— «هذا كان اختيارك لم أحملك على ظهري إلى هناك ذهبت بقدميك، لم أضربك لتفعل ذلك، ذهبت بمحض إرادتك»...

تحول الأمر بينهما وكأنهما في ساحة جريمة، ويحاول كل منهما إلصاق التهمة بالآخر.

ولكن من الجاني.....؟!!!.

هل هو سمير..... ذلك الفتى الذي تخلي عن حلمه إرضاءًا لوالده وتحقيقاً لرغبة خاله الذي طالما كان صديقا له في صغره خاصة بعد وفاة والدته ؟!!!!!.

هل هو خاله الذي أراد أن يحقق حلمه القديم الذي لم يستطيع تحقيقه بنفسه حتى ولو كان علي حساب طموحات وأحلام سمير ؟!!!!!.

هل هو والده الذي لم يوجه ولم ينصحه باختيار ما يحب بل علي العكس تماماً كان لردة فعله في ذلك اليوم أكبر الأثر في أن يحيد عن قراره ويستمر في تلك الكلية ؟!!!!!!.

أم هي تلك الطريقه في التقييم والتوجيه للطلاب.....؟!!!!!!.

فما علاقه كون هذا الطالب حاصلاً على مجموع كذا بأنه سيكون نابغاً في تلك الكلية....!!!!!!.

والله إن هذا لشيء عجاب...

ثم من أدخل تلك الأفكار المسمومة إلى عقولنا جميعاً وأخبرنا بأن تلك الكليات هي كليات القمة وأن ما عداها فهي من نصيب هؤلاء الذين لم يحققوا تلك الأرقام الباهرة والنتائج الخرافية.

وأيا كان الجاني... فالمجني عليه لا يزال يدفع الثمن والحقيقة أنه سيظل يدفع ثمن ذلك حتى آخر يوم في حياته خاصة إذا ما استمر في بحثه الحقيقي عن الجاني.

بعد عام كامل من التخرج يذهب سمير في زيارة إلى صديقه محمود الذي كان قد تخرَّج من كلية الطب فقط منذ ستة أشهر ذلك الفتي الذي تعامل مع حياته بشكل بسيط وسهل لم يكن يفكر كثيرا في دراسته، أو إلى أي كلية سيذهب فقط كان يبحث عن التفوق في مكانه وحتى بعد دخوله الكلية لم يكن يفكر كثيرا أي تخصص سيختار.. بل كان جل تفكيره أن يكون من المتفوقين ومن ثم يكون مخيَّراً في أمر تخصصه الدقيق مستقبلًا.

هدوء كبير واستقرار في حياة محمود، لاطالما كان سمير يحسده على تلك الحياة، ولكن ما فائدة ذلك الآن ! !

محمود :

— مرحبا بك دكتور سمير، كيف حالك، اشتقت إليك كثيراً وما أخبار والدك، هل هو بخير ؟..... تفضل تفضل.

سمير :

— الجميع بخير والحمد لله.

كانت إجابة سمير المختصرة جداً مقابل ذلك الترحيب دليل واضح أن الأمور لا تسير على ما يرام بالنسبة لسمير ولأن محمود هو صديق طفولته فلم يكن يخفي عليه مثل ذلك الأمر فبدأ بتوجيه أسئلته المباشرة....

محمود :

— هل الأمور تسير معك بشكل جيد في عملك يا سمير ؟.

سمير :

— في الحقيقه أنا لا أعمل.

محمود :

— لعل المانع خيراً إن شاء الله.

سمير :

— لا أدري... فقط كل ما أعرفه أنني لا أستطيع العمل بشهادتي... وبالتأكيد لن أقوم بعد دراسة ست سنوات بالعمل في أحد المحلات للحصول علي قروش في نهاية اليوم ثم لماذا أضعت كل هذه السنوات في الدراسة إذا كانت الأمور ستؤول إلى ذلك الحال.

محمود :

— اهدأ يا سمير ولا تنظر للأمور بهذا المنظور، ثم من قال لك إنك عندما تحصل على شهادتك ستعمل بها.

سمير :

– لـو كنـت مهندسـاً لاسـتطعت العمـل بشـهادتي وبالمبلـغ الـذي أريـده.

محمود :

– كلامـك غـير صحيـح والدليـل علـى ذلـك زملاؤنـا هـا هـم تخرجـوا ولـكل منهـم عملـه الخـاص بعيـداً عـن مجـال تخصصهـم.

سمير :

– هذا لأنهم لا يريدون ذلك.

محمود :

– صدقني حالهم ليس أفضل من حالك.

سمير :

– أنت فقط تريد أن تقوم بتهدئتي.

محمود :

– عمومـاً هـذا كلام لا طائـل مـن ورائـه وعليـك الآن أن تكـون جديـاً في البحـث عـن عمـل سـواء بشـهادتك أم بدونهـا.

سمير :

– علـى أي حـال لقـد تقدمـت بطلـب وظيفـة في بعـض شـركات تسـويق الـدواء وصناعتـه وأتمنـى أن تسـير الأمـور بشـكل جيـد ومـن يـدري لربمـا كنـت مـن عملائـي القادمـين....

يـودع كل منهمـا الأخـر وكانـت ابتسـامة سمـير لا تخفـي كثـيراً مـن

اليائس الذي حل به، ولكنها تحمل أملا في غد أفضل.

بدأت الأعوام تمر عاما بعد عام وها هو سمير يتدرج في سلمه الوظيفي حتى أصبح مديرا لتلك الشركة التي بدأ بها في شبابه وهو الآن في عامه الأربعين حقق نجاحاً مادياً لا بأس به ونجاحاً اجتماعياً باهراً ولكنه على الجانب الشخصي والنفسي كانت حياته مدمرة تماماً ناهيك عن صحته التي تدهورت بسبب سفره الدائم هنا وهناك ولكنه في أعين الناس ناجحاً وبتقدير ممتاز ! ! .

قامت المحافظة بتنظيم حفل تكريم لطلاب الثانوية ودعت رموز المحافظة والناجحين في المجالات المختلفة لهذا الحفل وكان من بينهم مدير أكبر سلسلة لشركات الدواء على مستوى الجمهورية الدكتور سمير صادق والذي كان عليه أن يلقي كلمة لتحثهم على بذل الجهد لتحقيق الأفضل لهم ولأسرهم ولبلدهم.

كان جميع المدعوين من الناجحين في حياتهم ، كان حديثهم روتينياً مملاً لكل السامعين فهذا يتحدث عن بدايته وعن قصته السخيفة في العمل، وهذا يتذكر أيام طفولته وكيف كانت أياماً سعيدة ثم يرتجل بعض الأبيات الشعرية (والتي لا معني لها علي الإطلاق)، وهذا يخبرك بكل وقاحه عن رغد العيش وفحش الثراء الذي يعيش فيه الآن، وهذا يقول، وذاك يغني..... إلخ..... إلخ.....إلخ.

وكانت الكلمة الختامية من نصيب سمير.....

كانت بضع كلمات ولكنها أسكتت الحاضرين ولربما كانت صادمة من شخص هو ناجح بالنسبة لهم في حياته ولكنها كانت

كلمات تخرج من قلب صادق كلمات يشعر بها ولربما عاشها في فترة عمله.

انتصب سمير واقفاً، متكئاً على عكازه وشكله يشعرك أنه تجاوز السبعين من عمره، ثم قال كلامته التي لايزال صداها يعيش مع الطلاب مهما مر بهم الزمان :

- «إذا مات موظف في شركتنا فإننا نعلن الحداد، وفي اليوم التالي نبحث عن موظف جديد.... هذه حياتك لا تضحي بها من أجل أي عمل أيا كان .....ادرس ما تحب واعمل ما تحب.....عندما كنت صغيرا سألني كثيرين ماذا تود أن تكون عندما تكبر... كنت أجيب بلا تردد أريد أن أكون مهندسا ...واليوم أقولها لكم لو عدت طفلاً صغيراً وسألوني ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر، لن أقول هذه المرة أنني أريد أن أصبح مهندساً، بل سأكتفي وأقول أريد أن.....أريد أن أبقى سعيداً.

استراحة

في أحـد الأيـام صـادف الفيلسـوف سـقراط أحـد معارفـه الـذي قـال لـه بتلهـف:

– سقراط، أتريد أن تسمع ما قال عنك أحد طلابك ؟»

رد عليه سقراط :

– «انتظـر لحظـة.. قبـل أن تخـبرني أود منـك أن تجتـاز امتحـان صغـير يدعـى امتحـان الفلـتر الثلاثـي»...

الفلتر الأول هو الصدق :

هل أنت متأكد أن ما ستخبرني به صحيح ؟

فقآل الرجل :

– لا.. في الواقع لقد سمعت الخبر و... ؟!

قال سقراط :

- حسناً.. إذاً أنت لست متأكداً أن ما ستخبرني صحيحاً أو خطأ؟!

فلنجرب الفلتر الثاني وهو فلتر الطيبة :

هل ما ستخبرني به عن طالبي هو شيء طيب ؟

قال :

- لا.. على العكس !

- حسناً.. إذاً ستخبرني شيئاً سيئاً عن طالبي على الرغم من أنك غير متأكد من أنه صحيح!

بدأ الرجل بالشعور بالإحراج..

تابع سقراط :

- ما زال بإمكانك أن تنجح بالامتحان فهناك فلتر ثالث

فلتر الفائدة :

هل ما ستخبرني به عن طالبي سيفيدني ؟

فأجاب الرجل :

- في الواقع لا..

فقال سقراط:

- إذاً.. إذا كنت ستخبرني بشيء ليس بصحيح ولا بطيب ولا ذي فائدة أو قيمة، لماذا تخبرني به من الأصل؟؟

فلنستخدم هذا التحليل المنطقي قبل أن نتحدث عن أي شخص أو حوار أو أخبار ، وخاصة هذه الأيام حيث كثر اللغط والإشاعات والأكاذيب.

القصة الثالثة

حوار مع صديقي المدخن

«زوجي العزيز عمر؛ كثيراً ما حدثتك بشأن أنك يجب أن تقلع عن التدخين؛ ولكن للأسف أنت لم تهتم أبداً بكلامي، أعلم أنك من داخلك تريد أن تقلع ولكن تتوقف يوم، أو يومين ثم تعود مرة آخرى آسفه؛ لأنني لم أستطع أن أخبرك ذلك بنفسي ولكني لم أعد أتحمل رائحة الدخان التي دائماً ما تملأ المنزل بسبب السجائر، أنا الآن في منزل والدي وإذا كنت تريد مني العودة إلى المنزل عليك أن تختار بيني وبين سجائرك.

زوجتك العزيزة سحر»

- هل ترى يا علاء هذه هي الرسالة التي تركتها لي زوجتي عندما عدت من عملي هذا اليوم.
- علاء هو طبيب نفسي وصديق مقرب من عمر-
- تريث يا صديقي العزيز، ودعنا نفكر قليلاً لقد أخبرتني من قبل بأن التدخين قد سبب لك الكثير من المشاكل مع زوجتك، وأنت تعلم أنها تحبك كثيراً، وبالتالي إذا تركت المنزل بعد عام كامل من الزواج فلابد من أنها فعلاً لا تطيق هذا الدخان ولقد أخبرتني من قبل أنك حاولت الإقلاع عن التدخين أكثر من مرة ولكن فشلت في هذا الأمر وها قد أتت لك الفرصة إما ان تتخلص من السجائر التي تكرهها بالفعل، أو تخسر زوجتك التي تحبها كثيراً.

عمر :

- نعم أنا أقتل نفسي بهذه السجائر وأدمر حياتي أرجوك ساعدني يا علاء لكي أقلع عن التدخين.

علاء :

- الاعتراف بوجود مشكلة يمثل نصف حلها، حالك الآن هو أفضل من حال أي مدخن لا يعترف بأنها خطأ بل يتباهى بها في أغلب الأحيان، انا أفهم أن ما بيدك حيلة وأنا ألتمس لك العذر في ذلك فلقد بدأت التدخين في مرحلة المراهقة في سن طيش لم أكن أدرك ماذا أفعل لنفسي لم أدرك أنني كنت أقتل نفسي بهذا الدخان ولكني والحمد لله استطعت الإقلاع عن التدخين وهاأنا الآن أساعد الناس في الإقلاع عن التدخين أيضًا، عندما بدأت أدخن كنت أشعر وكأن طاقة قد دخلت جسمي كنت أمارس العديد من النشاطات اليومية بدون أن أشعر بالتعب كنت أنام وقت أقل من المعتاد وأقوم بنشاطات أكثر وأكبر جهداً من المعتاد بدأ المستوي الدراسي يتحسن وبدأت أشعر وكأن الحياة وبلا أي مقدمات فتحت أبواب السعادة أمامي وأنا لم أكن أسير في إتجاه السعادة بل كنت أجري بأسرع مما كنت أتصور في طريق السعادة لم أكن أصدق ما كان يقوله لي أصدقائي المقربون الذين علموا بأمر تدخيني للسجائر بأنني أقتل نفسي وأدمر صحتى خصوصاً عندما بدأت أتفوق عليهم في الدراسة وفي الألعاب الرياضية كنت أشعر بأن الإعلانات التي أشاهدها يومياً تحذر من السجائر هي أوهام حتى ما كنت أراه على علبة السجائر من الخارج التي تتحدث عن أخطار السجائر شعرت وكأن الناس يضعونها من أجل أن يبعدوا الناس ويضللوهم عن الكنز الموجود بداخلها يريدون أن يحتفظوا لأنفسهم بالسعادة الموجودة بداخل هذه

العلبة، ومرت الأيام وبدأت السجارة تصبح جزءاً لا يتجزء من حياتي... صحيح أنني فقدت تلك السعادة التي كنت أشعر بها عندما أدخن وأصبحت أنام عدد أكبر من الساعات وقلَّ نشاطي البدني بشكل كبير وملحوظ ولكنني كنت أظن أنني ستسوء حالتي إذا أقلعت عن التدخين، بل كنت أقنع نفسي أنني إذا دخنت المزيد من السجائر ستتحسن حالتي وبعد أن كنت أدخن عشرة سجائر في اليوم أصبحت أدخن ثلاث علب سجائر يومياً، عندما اعترفت بحقيقة أنني أقتل نفسي بدأت أقول يجب أن أقلع عن التدخين وبدأت أشعر وكأن النيكوتين الموجود في جسدي يناديني ويحثني على التدخين بدأت أشعر وكان أفعى تلتف حول عنقي تحاول قتلي أشعر وكأن العشر سنوات التي دخنت فيها أصبحت أمامي وكأن شخص يضربني ويحاول قتلي وأنا لا حول لي ولا قوة وقتها تذكرت قول الله تعالي في سورة التوبة «**حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ**» بدأت أبحث في الأحاديث وبدأت أبحث عن آيات الله التي تتحدث عن الفرج.. اعترافي هذا قام بتحويلي من شخص لا تفارق يده السيجارة إلى شخص يبحث عن كيفية الإقلاع عن التدخين.

الأمر الثاني الذي فتحه أمامي هذا الاعتراف أنني بدأت أراقب شخصيتي وبدأت أفقد شهيتي في ممارسة الرياضة المفضلة لدي بدأت أكون إعتقاداً خاطئاً بأن كل أمر سيء يحدث لي هو بسبب السجائر وكأنني كنت أقوم بجذب السلبيات إليَّ بعد

أن أدخنها، ولكن أنت تعرف يا عمر تماماً هذا الشعور الذي لا يقاوم هذه الرغبة الشديدة التي تدفعني في أن أدخل يدي في جيبي وأخرج علبة السجائر وأضع السجارة في فمي وأقوم بإشعالها وأتنفس هذا الدخان فكنت دوماً ما أعود إلى التدخين بعد أن أقلع يوماً أو يومين

والآن دعني أسألك سؤالاً يا عمر.. لماذا تدخن ؟

عمر :

— لقد قلت بنفسك يا علاء هذه الرغبة التي لا تقاوم في التدخين ولكنني يمكنني أن أزيد عليك في أنني أدخن لأنني أشعر براحة في جسدي بعدما أدخن وأشربها لأنني لا أود أن اقع في شرب المخدرات أو الخمور وأنني لا أتحمل أن أمنع نفسي من السجائر عندما أرى من حولي يدخنها

علاء :

— دعنا نفحص هذه الإجابات واحدةً تلو الأخري، نعم تجد متعة كبيرة عند تدخينك للسجائر تلك المتعة الكبيرة التي تستمر معك وقت طويل جداً لا يتجاوز العشر دقائق أليس كذلك؟!

— إذا كنت تريد أن تستمتع عشرة دقائق فقط وتعيش باقي اليوم في اليأس والندم والألم ومن يدري ربما تعيش بقية عمرك تنفق مالك في علاج الأمراض المزمنة التي من الممكن أن تصيبك فيما بعد، فأنا أقول لك إذا كانت عشر دقائق ستغنيك عن الألم بقية حياتك إذن فتمتع إذا كنت تريد التمتع لبرهة قصيرة من الزمن وتعيش تعيساً بقية حياتك فدخنها، لم أعد أظن بأنك

مازلت تصدق بأن التدخين به متعة تغنيك عن متع الحياة، وإذا كنت تدخن لأنك تشعر بالارتياح بعدها فلماذا لم يدخنها العالم بأسره، لماذا يموت آلاف الناس يومياً بسبب السجائر لماذا يحاول الناس الغير مدخنين الابتعاد عن المدخنين لماذا تركت زوجتك سحر ولا تريد العودة إليك إذا استمريت في التدخين ؟، وبالنسبة للوقوع في شرب الخمر أو المخدرات فاعلم بأن هذه هي إجابة الشيطان... الشيطان يعلم تمام المعرفة أننا مؤمنون ومسلمون بطبعنا نكره الكبائر ولخوفنا من الوقوع في كبيرة شرب الخمر أو حتى المخدرات ما جعله طريق يوسوس إليك منه عن طريق إحضار شيء أقوى من السجائر ويقنعك بأن التدخين أو الصغائر هو سلاح للبعد عن الخمر أو الكبيرة ستجده يقول لك وما المانع في أن تشربها إتقاءً من شرب الخمر فتدخينها أسهل بكثير، وأرحم من الوقوع في شرب الخمر، تذكر يا عمر الشيطان يزين لك الآن ما تفعل وتذكر قول الله «**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**»، سيتبرأ منك ويبتعد عنك ويضحك هو وتبكي أنت، لن تقع في الكبائر يا عمر أنت أعظم من أن تشرب الخمر لن تصل لتلك المرحلة والضمان إيمانك بنفسك وبضعف جرأتك في الإقدام عليها وإذا راودتك تلك الفكرة استعذ بالله منه «**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**»، إذا كنت تشربها لأنك تشعر بالضعف إذا رأيت أحد يدخن لن أضحك عليك فأنا كنت مثلك ومثلك كل إنسان «**وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**»، وكانت هذه دوماً هي حجتي أمام الله عندما أدخن

أقول لم أستطع التحمل طالما التمست هذا العذر أمام الله وأمام نفسي ومع مرور الوقت أدركت شيئاً مهماً هذه هي الدنيا بشهواتها وملذاتها لن أستطيع أن أغيرها، ولكن هناك بالفعل من أقلع عن التدخين، كان قوياً وتصدي لهذه الأعذار وأنا أيضا قوي مثله، حينئذ بعد معرفتي لتلك الحقيقة.. أني قوي بدرجة كافية أن أغير من نفسي.

فأنا سيد نفسي.. وأنا من يصنع القرار.. وأنا من يتحكم في حياتي.. وأنا فقط القادر على تغيير نفسي.. كل ما أحتاج إليه شيئاً واحداً فقط، وإذا كنت قد خسرت معارك كثيرة جداً جداً جداً مع الشيطان.. فأنا لن أخسر الحرب.. كل ما كنت أحتاج إليه كي اتغلب على تلك المؤثرات والفتن.. هو شيء واحد فقط يحتاجه الفارس عندما يواجه أقوى الوحوش..كنت بحاجة إلى سلاح! ، وأنت ياعمر تحتاج إلى هذا السلاح

عمر :

— أخبرني أرجوك يا علاء ما هو هذا السلاح؟؟

علاء :

— عندما كان نيلسون مانديلا في زنزانة صغيرة بالكاد يدخلها نور الشمس كان يقول: أنا سيد قدري وأنا قائد روحي، إذا كنت يا عمر ستدخل حرباً مع الشيطان في سبيل الإقلاع عن التدخين لا بد أن تعرف من أنت أولاً ثم تتعرف على عدوك، من أنت...؟ اسأل نفسك هذا السؤال.. وإذا لم تجد إجابة فأنا سأعطيك الإجابة التي قلتها لنفسي حين كنت

أدخن السجائر، قلت لنفسي حينها : أنا لا شيء !مجرد شخص تسيطر عليه شهوات المتعة فقط. لا أكثر ولا أقل. تلك كانت نظرتي لنفسي حينها، كنت أمر بحالة نفسية سيئة جداً فقد كنت أحاول الخروج من هذا الدخان الموجود حولي كنت أريد أن أُخرج هذا النيكوتين الذي سيطر علي ولم أكن أستطيع، ومع مرور الأيام قررت أنني أكثر بكثير من لا شيء أمسكت ورقة وكتبت بها (أنا لا شيء) ملأت بها الورقة ثم أخرجت الكبريت من جيبي وأشعلتها ونظرت إليها واستمتعت بالنار التي ملأتها ثم قلت لنفسي من المستحيل أن أكون لا شيء، قمت بتغير طريقة تفكيري أحضرت ورقة أخرى وكتبت عليها من أنا ثم بدأت أكتب:

أنا مسلم... أنا متفوق... أنا طموح... أنا محارب للشيطان... وظللت أكتب كل شيء رائع في حياتي وشخصيتي وفي النهاية كتبت، كتبت كلمتين، أنا مشكلتي بسيطة أنا فقط عندما أرى أحد يدخن لا أستطيع المقاومة، وفي لحظتها رأيت الموضوع بسيطاً جداً لمجرد أنني نظرت إلى نفسي نظرة إيجابية ويسرت المشكلة علي نفسي تغيرت في الحال حالتي النفسية ، وهذه هي أول خطوة يا عمر أريدك أن تذهب إلى المنزل ثم أحضر ورقة وقلم وأكتب بها من أنت أريدك أن تقدر نفسك أكتب من أنت واعتز بنفسك احتضنها وحبها وارتق بها دس بقدمك على كل شيء لا تستحقه ثم اتصل بزوجتك وأخبرها أنك تريد الحديث معها وأخبرها بأنك بدأت أولى الخطوات في الإقلاع عن التدخين وأولها أنك لن تدخن في المنزل بل إنك لن تدخل المنزل وأنت تحمل علبة

السجائر، أو علبة الكبريت وأريدك أن تأتي إليَّ غداً لنكمل حديثنا

عمر :

– حسناً يا علاء مع السلامة

خرج عمر من عند صديقه الطبيب علاء وهو يرى نفسه قوي الإرادة للإقلاع عن التدخين ثم عاد الى المنزل وأحضر ورقة وقلم وسار على نصائح علاء ثم اتصل بزوجته وأخبرها بأنه سيأتي إليها وكان لقائهما كالتالي:

عمر :

– لماذا يا سحر لماذا تتركين المنزل فجأة وتجعليننني في قمة التعاسة؟!.

سحر :

– أنت تعلم مقدار حبي لك ياعمر لم أستطيع أن أخبرك بذلك بنفسي ولكنني فعلاً لم أعد أتحمل رائحة هذا الدخان

عمر :

– لقد ذهبت بالفعل إلى صديقي علاء الطبيب النفسي الذي حدثتك عنه من قبل من أجل أن يساعدني للإقلاع عن التدخين وأول خطوة هي أنني لن أدخن في المنزل

سحر :

– حسنا يا عمر سأعود معك الآن ولكن إذا كنت تكذب على فسأعود إلى منزل والدي ولن أعود معك أبداً

وفي اليوم التالي ذهب عمر إلى صديقه علاء وأخبره بأنه لم يدخن أي سجارة واحدة بالأمس وأخبره بما حدث مع زوجته وكان هذا رد علاء

علاء :

- الآن يا عمر وقد بدأت الخطوة الأولي في الإقلاع عن التدخين دعني أسألك سؤالاً، كيف ترى نفسك ؟ هل أنت ممن يرون أنفسهم قادرين على الإقلاع عن التدخين أم أنك أحد هؤلاء الضعفاء الذين يستسلمون لأنفسهم ولشهواتها، ارجع معي إلى الوراء قليلاً قبل أن تبدأ في التدخين كيف كانت حياتك وكيف كان الآخرين يرون هذا الشخص الرائع المتكامل؟ الذي قمت أنت بدفنه بسبب تدخينك تلك السجارة أنت السبب في هذا الفرق والسبب أيضا طريقة حديثك مع نفسك إيمانك بنفسك أو عدم إيمانك بها هو الذي يحدد هويتك، صديقي العزيز يمكنك قراءة العشرات من الكتب عن كيفية الإقلاع عن التدخين ويمكنك أن تشاهد المئات من الفديوهات التي توعيك بأضرار السجائر ولكن لن يحدث لك الكثير مقارنة بأسلوب مخاطبتك لنفسك وتذكر هذه الآية «**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**» حفز نفسك دائما أعطها رسائل إيجابية كثيرة أعط نفسك قدرها وقيمتها في كل وقت تحدث مع نفسك بصوت أقوى من الرعد وقل أنا قوي أنا أستطيع أنا أفضل بدون السجارة أنا أفضل بدون هذا الدخان أنا لدي إرادة الجبال..... افتخر بذاتك وحارب شيطانك خاطبه وقل له أنت ضعيف وكيدك ضعيف أعوذ بالله منك... اهزم شيطانك

واستعذ بالله منه في كل مرة تأتي لك هذه الفكرة في كل مرة يأتي لك الإحساس أنك تريد أن تدخن استعذ بالله منه في كل مرة ترى شخص يدخن أمامك مرة مع مرة مع مرة أخرى ستجد نفسك أقوى بكثير مما كنت تتصور؛ لأن عقلك الباطن مبرمج بصورة رائعة فهو يصدق كل ما يجعلك سعيد وأنت الآن تصدق أن إقلاعك عن التدخين هو ماسيجعلك سعيد؛ أليس كذلك؟

عمر :

— نعم؛ أنا فعلاً أصدق ذلك

علاء :

— هذا الدخان هو الذي جعلك تدفن شخصاً رائعاً داخلك شخصاً محبوساً في عقلك شخصاً نائماً اجعل هذا الشخص ينهض خاطبه كثيراً أخبره أنه قوي وأنه لايوجد شيء في الدنيا يستحق أن يجعله محبوساً هكذا اغمض عينك قليلاً وتنفس بهدوء واشعر بثقتك في نفسك.... اعلم أنه شعور رائع بأن ترى هذا الشخص لأول مرة موجوداً بداخلك شخص مسالم قوي معك دائماً يمكن له أن يساعدك في أي وقت وبما أنك أخبرتني أنك لم تدخن بالأمس بعد أن تركتني أريدك أن تتوقف عن التدخين لمدة عشرة أيام متصلة ابدء من الآن ثم تأتي إليَّ وفي أي وقت يا عمر تشعر بأنك لا تتحمل وتريد أن تدخن أريدك أن تتذكر هذا الشخص الموجود بداخلك وبأنه يمكن له أن يساعدك.

وبعد مرور سبعة أيام اتصل عمر بعلاء وأخبره بأنه يريد مقابلته ودار هذا الحوار.

عمر :

- أنا لم أعد أستطيع التحمل أكثر من ذلك أريد أن أدخن يا علاء أشعر بإختناق شديد لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك أرجوك ساعدني يا علاء

علاء :

- قبل أن أخبرك بما طبقته كي أحافظ على قوتي دعني أخبرك بشيء عن كيفية الحصول على العزيمة والإرادة:

١- **الانضباط** :في الواقع عندما رأيت كلمة (انضباط) كدت أن لا أكمل قراءة الكتاب لأني كنت وقتها مقتنعا بأني كسول جداً وأني لن أتمكن من أن أنضبط على شيء واحد وأستمر عليه ولكني قلت لنفسي ولم لا، دعني أجرب فأنا أذهب وأصلي الجمعه في المسجد وأول شيء أفعله بعد الاستيقاظ التدخين، كل هذا كان يحدث في أوقات محددة إذن أنا في الأساس منضبط، ولكن انضباطي انضباط هدم وتدمير وليس بناء وتحسين ومن هنا بدأت أفكر لم لا انضبط بالصورة العكسية أضع هدفاً يومياً أمامي وأسعى لتحقيقه وهنا فعلت خطئاً فادحاً بدأت بوضع هدف لا يناسب إمكانياتي وظروفي وقتها فقلت لنفسي سأنضبط على المحافظة على صلاة الفجر في المسجد يومياً وهذا ما حدث: نزلت يوماً واحداً فقط نعم حققت هدفي بالنزول ليوم واحد وعدت من جديد في نفس اليوم إلى التدخين مرة أخرى وكنت ضعيفاً جداً جداً بل وعدت للأسوأ وفي نفس ذات اليوم الذي نزلت فيه للصلاة

ثم بدأت من جديد – فأنا لا أمل أبداً من رحمة ربي – ولكني بدأت بصورة تدريجية وضعت لنفسي هدفا وأخبرت نفسي أني سأحققه قررت أن أواظب على سجدة لله قبل أن أنام ومن لحظتها وأنا مداوماً عليها ولماذا السجود لأني أعشق تعذيب الشيطان فهو يبكي عندما يسجد العبد لربه بالإضافة إلى أن ثوابه عظيم كم أن السجود أمر سهل، الموعظة هنا يا عمر هي أن تضع لنفسك مباديء وقوانين تمشي عليها وتداوم ولو كانت هذه المباديء أو الأهداف سهلة وبسيطة

٢- **الحكمة**: لن أطيل عليك يا عمرالحكمة ستحصل عليها من التجربة وقراءة الكتب اقرأ القرآن وخاصة الآيات التي تحبها بكثرة، بل وادرسها وتعرف على أسباب نزولها ولا تنس أن تقرأ كتاباً لمدة ٥ دقائق كل يوم أو ٣ دقائق كل يوم أو سطر أو تصفح أقوال الحكماء، دع عقلك يعمل، اقرأ وتدبر، ولكي تحصل على الحكمة؛ لابد أن تجرب كل شيء وتخطئ وتتعلم من أخطاءك جرب ولا تخف.

٣- **الحب**: الحب هنا هو حب النفس، حب نفسك الطيبة وأعط نفسك السيئة الفرصة لكي تكون طيبة وعوّد نفسك دائماً على المرور إلى الأمام، ابتعد عن كل ما يؤثر عليها بالسلب، اقلع حقاً عن التدخين وهنا أنت بحاجة إلى قرار وهذا سأحدثك فيه فيما بعد.

٤- **غيِّر الروتين**: ومن السهل جداً على أي إنسان أن يغير من روتينه تخيل معي يوم الراحة الخاص بك ووقت نومك

وفجأة وجدت هاتفك يرن لتجد صديقاً يخبرك بأن أحد أصدقائك قادم إليك الآن حالاً فماذا ستفعل؟، ستنهض لتفتح له الباب تغيير الروتين ياتي من داخلنا إذا وجدنا الحافز الذي يساعدنا على التغيير هل لديك حافز أقوى من أن تغير نفسك ؟؟ لا أعتقد.

٥- **قم بالمهمة المزعجة أولاً:** انتهي من الهدف الأصعب فإذا كان هدفك أن لا تدخن اليوم قم بإلقاء علبة السجائر التي في جيبك في القمامة، إذا كان هدفك أن تقرأ كتاباً لمدة نصف ساعة انتهِ من الكتاب في نصف ساعة إذا كان هدفك أن تنزل لتجري في الشارع أو على الكورنيش أو حتى الذهاب إلى الجيم او ممارسة السويدي افعله بسرعة وانتهِ منه انتهِ من الأشياء التي تشعر أنها تشكل حملاً وعبئاً على عاتقك وستشعر بالراحة ولا تنس أن تعيش أهدافك وعينيك على النهاية

٦- **كافئ نفسك:** هل تعلم يا عمر أني أحب أن أكافئ نفسي بطريقة عجيبة جداً كلما أفعل شيئاً يرضيني عن نفسي أذهب لتناول وجبة شهية من المطاعم المختلفة وأقول لنفسي أنا أستحق هذه الوجبة، حب نفسك ستجدها تضحي في الخير من أجلك وتنهض بك

٧- **عالج التسويف:** يقول انتوني روبن «سوف» كلمة قبيحة «سوف» (سوف تقتلك) الغها من قاموس كلماتك، امسحها وضع بدلا منها كلمة (هيّا) ولا تنس أن عقلك الباطن يستجيب بسرعة لكل ما يجعلك سعيداً، اجعل كلمة (هيّا) سبباً

لسعادتك وكلما تقولها سيعشقها عقلك الباطن، وكلما تقولها سيتحكم عقلك الباطن في جسدك فيستجيب، لا تقل سوف أبداً غداً بالإقلاع عن التدخين بل قل (هيا نبدأ الآن) قل عندي قوة إرادة، وكن مؤمناً بنفسك، وخاطب نفسك وحدثها أعطها رسائل إيجابية كثيرة، وتذكر قول فرانك أوتلو

(راقب أفكارك لأنها ستصبح أفعالاً، راقب أفعالك لأنها ستصبح عادات، راقب عاداتك لأنها ستصبح طباعاً، راقب طباعك لأنها ستصبح مصيرك)

٨- **خذ قرار:** خذ قرار وكون اعتقاداتك كن معتقدا بقدرتك إذا كنت قلت لنفسك في يوم من الأيام (لن أدخن مرة أخرى) فهذا يسمى قراراً، مصداقيتك مع نفسك هي التي تحدد ما سيأتي بعد هذا القرار، وأريدك أن تعرف يا عمر بأن مسألة التخلي عن شيء ليست بحاجة إلى نصح من أحد أو الترهيب من شيء كل ما أنت بحاجة إليه هو أن تفكر جيداً قبل هذا القرار والآن أريد أن أسألك عدة أسئلة ماذا تستفيد من التدخين ؟

عمر :

لاشيء سوى متعة تستمر عشرة دقائق أخسر على أعقابها ملايين الأشياء.

علاء :

— ماذا ستخسر إذا أقلعت عن التدخين؟

عمر :

– لن أخسر أي شيء، لن أخسر شيئا أبداً.

علاء :

– لماذا لا تقلع عن التدخين؟.

عمر :

– لا أدري هل أنا ضعيف؟ هل أحب الانغماس فيها حتى يتهاوى كل شيء في حياتي بسببها؟ لا أعلم

علاء :

– ماذا ستكسب عندما تقلع عن التدخين؟

عمر :

– سأكسب الكثير على مستوى الصحة النفسية والبدنية ستتحسن شخصيتي كثيراً سأكون قوي الإرادة لن ينتصر عليَّ شيء.

علاء :

– كيف ترى نفسك بعد أن أقلعت عن التدخين؟

عمر :

– قويٌ جداً قائد بارع، ببساطة ستتغير حياتي رأساً على عقب.

علاء :

– لماذا لم تقلع عن التدخين؟

عمر :

– لأنني لم أقرر بعد التخلي عنها الموت لا ينتظر!

علاء :

– كيف تتخلى عنها؟.

عمر :

– لابد من وجود هدف وخطة داخل إطار الاستعانة بالله.

خرج عمر من عند علاء وهو يقول في نفسه جاوبت على تلك الأسئلة إذاً سأبدأ تنفيذ القرار ثم قال أيضا ما الثمن الذي سوف أدفعه إن لم أتغير الآن واستمريت على ما أنا عليه؟ أولاً سأخسر زوجتي ثم سأخسر حياتي ثم سأخسر نفسي.

عاد عمر إلى بيته ولم يدخن لمدة أسبوعين أخرين ثم ذهب الي علاء مرة أخري

علاء :

– كيف حالك الآن يا عمر؟

عمر :

– بدأت أشعر بسعادة، أنا لم أدخن السجائر منذ ٢٢ يوماً وهذه هي أطول مدة أقلع فيها عن التدخين

علاء :

– كيف استطعت أن تقاوم نفسك في الأسبوعين السابقين يا عمر؟

عمر :

- مجموعة من القرارات التي اتخذتها مع الحفاظ على قوة شخصيتي مع نفسي، قررت أن أصلي قررت أن أصوم الإثنين والخميس قررت أن أسجد لله قبل أن أنام قررت أن أذكر الله كثيرا قررت أن لا أضعف عند ما أحد يدخن أمامي قررت أن لا ألمس السجارة وكنت قوياً جداً على نفسي راوضتها وأثبت لنفسي أني قوي الشخصية وكان أول يوم بعد قراراتي هذه أفضل يوم أنام فيه مرتاح البال مطمئن القلب عفيف النفس

علاء :

- لا تنس قاعدة مهمة جداً عندما تطبق ما فعلته أنا ونجحت فيه القرار الحقيقي معناه عدم الرجوع مرة أخرى إلى عاداتك القديمة بل وعدم التفكير فيها وإياك أن تتصرف وفقاً لمبدأ»ماذا لو»ماذا سيحدث لو فشلت؟ ماذا لو لم تساعدني الظروف أمحها تماما من قاموسك عش في حدود يومك وانظر إلى النهاية واشعر بإحساس الانتصار الذي سيغمر كل جزء فيك عندما تنتصر على نفسك في هذا اليوم في يوم من الأيام خطر على بالي هذا السؤال وأنا أحاسب نفسي أحضرت ورقة وقلم وكتبت معدل السيئات التي تكتب علي وأن أشرب أكثر من سجارة لمدة نصف ساعة (٣٠ دقيقة × ٦٠ ثانية =١٨٠٠ ثانية) تخيل في نصف ساعة فقط وجدت عندي ١٨٠٠ ذنب فما بالك في الساعة ١٨٠٠×٢ = ٣٦٠٠ ذنب، الشخص العاقل الحكيم سيفكر كثيراً قبل أن يقدم على شرب سجارة وهو يرى عدد هذه السيئات الكثيرة مكتوبة أمامه ما الحل إذن ؟ لن

أقول لك (صلي وصم واقرأ القرآن – بالرغم من أنه سلاح قوي في حد ذاته (ماذا فعلت أنا ؟ لكي أستمر على النجاح الذي أنا فيه أحضرت ورقة وقلم وجلست أفكر ووضعت لنفسي أسساً أمشي عليها فقد كان لدي هدف وهو الانتصار على شرب السجائر تماماً نهائياً وليس لفترة وجيزة وأعود من جديد، سأتوقف عن شرب السجائر في سبيل شيئين: الله تعالى، ثم نفسي، فمن ترك شيئاً لله أبدله الله خيراً منه، يا عمر عندما ترغب نفسك في تدخين سجارة فكر ملياً قبل أن تفعل هذا وقل لنفسك(ماذا سأستفيد – لماذا سأدخنها – أنا أفضل من أن أنحدر إلى مستوى دنيء – الله يستحق مني أفضل من هذا واتبع تلك التساؤلات بسرعة بـ(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) الشيطان ضعيف ويخاف منك اجعل الشيطان يخاف منك قل لنفسك (لأ) كن قوي الشخصية، من الذي يأمرني بتلك المعصية ؟ إنه شخصية تراني ويعلم جيداً نقاط ضعفي هذه الشخصية يقول الله عنها في القرآن الكريم «**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ**» إنه الشيطان إذن سوف أعاقبه ويالها من حرب رائعة جداً عندما كان يوسوس لي وانتصر عليه اتفقت مع نفسي على عمل شيء مهم جداً كلما كانت تأتيني أفكار أو هواجس أو خيالات لشرب السجائر كنت أعاقب الشيطان بذكر الله كلما كان يوسوس لي أو تأتيني تلك الهواجس اتفقت أن أقول لنفسي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

رب اغفر لي أرأيت؟ كلما كنت أفكر في شرب السجائر كنت أعلم تمام العلم من هو عدوي وما هي نقطة ضعفه فعاقبته وعقوبة الشيطان حتى يخنس ذكر الله تعالى عندما كنت أفرغ من هذا الذكر كان يأتيني أيضا فكنت أقولها أيضا (والشيطان ضعيف وفي رأيي غبي) فقد كان يأتيني أيضاً فما زاد ذلك مني إلى أن أقول هذه الأذكار أكثر وأكثر حتى تنتهي الوسوسة وكنت أقول له إذا كنت ستأمرني بالسوء فأنا سأحرقك تعال أريدك أن تأتي مرة أخرى وسأحرقك وأجعلك تخنس أكثر فأكثر (الشيطان ضعيف) (وأنت يا عمر قوي قوي جدًا) والآن أريدك يا عمر أن تعاود الذهاب إلى الجيم أريدك أن تفرغ هذه الطاقة المكبوته في داخلك وصدقني ممارسة الرياضة سيعود عليك بنفع كبير جداً مع الوقت اصبر وتحمل وستجد ثمرة صبرك هذه قد أنبتت شخصاً مستقيماً مستمتعاً بشخصية قوية ونفس راضية مرتاحة البال بل وستحصل على كاريزما عالية.

عاد عمر إلى منزله وهو على يقين بأنه قد أتم العديد والعديد من الخطوات في سبيل الإقلاع عن التدخين وبدأ بالفعل يرتاد الجيم مرة أخري وها قد مر عليه أربعة وأربعون يوماً بدون أن يدخن سيجارة واحدة ثم قابل علاء مرة أخرى

عمر :

— السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

علاء :

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته كل عام وأنت بخير

عمر :

— وأنت بالصحة والسلامة

علاء :

— هـا قـد أتـي رمضـان وقـد أتـت الفرصـة أمامـك إذا مـر عليـك هـذا الشـهر الكريـم وأنـت لم تدخـن مطلقـاً يكـون قـد مـر أربعـة وسـبعون يومـاً وتكـون فعـلاً قـد أقلعـت عـن التدخـين

وبعد مرور عام

— «سحر سحر أين أنتِ يا حبيبتي»

— أنا هنا يا حبيبي ما الأمر؟!

— لقد عدت من العمل أين هي ابنتنا سلوى؟

— إنها نائمة في الغرفة هيا لنطمئن عليها

— ماشاء الله تبارك الله

حمـل عمـر ابنتـه بـين يديـه تلـك الطفلـة الجميلـة الـتي تبلـغ مـن العمـر ثلاثـة شـهور فقـط ويضمهـا إلى صـدرهِ فـإذا هـي تسـتيقظ وتبـدأ في البـكاء فتحملهـا أمهـا وتضمهـا إليهـا فتهـدأ .

عمر :

— هـل تتذكريـن عندمـا كنـا نقـف هنـا منـذ عـام لقـد كان أحسـن يـوم في حياتـي

سحر :

- أجل يا عمر أتذكر هذا اليوم جيداً فقد كان أيضاً من أسعد أيام حياتي عندما أخبرتني بأنك أقلعت تماماً عن التدخين جزاه الله خيراً الطبيب علاء فقد كان بعد الله تعالى السبب الأكبر لإقلاعك عن التدخين.

عمر :

- ولكن يا سحر لم أنسَ أبداً إخبارك لي في هذا اليوم بالذات بأن الطبيب قد أخبرك بأن مشكلة الإنجاب قد حلت وبإذن الله ما هي إلا شهور ويرزقنا الله بمولود .

وكانت هذه رحلة عمر للإقلاع عن التدخين

استراحة

يُحكى أنه حينما كانت القيم تسود الأرض..كان الحب والجنون صديقين حميمين لا يكادان يفترقان..كانا يقومان بكل شيءٍ معاً.. إلا أنه ذات يوم وبينما هما يلعبان حدث أن تدخل بينهما الشيطان فتشاجرا شجاراً عنيفاً تماسكا بالأيدي ودب بينهما عراك عنيف أفضى إلى أن أخذ الجنون خشبة حادة ضرب بها عين الحب في لحظة غضب.. ولم يتوقف العراك بعد أن سمع أنين بكاء يقطع القلب صادراً من الحب..ندم الجنون على فعلته وتحسر إلا أنه قد فات الأوان..

وبعد أيام امتثلا أمام القاضي.... سمع القاضي كلا منهما..وأبدى الجنون حسرته وأسفه على فقدان صديقه الحب البصر بسببه، وأنه مستعداً لأن يلقى عقوبته مهما كانت.... طرق القاضي رأسه لبرهة ثم قال :

- «حكمت المحكمة بأن تكون ملازماً للحب بقية عمرك ترشده بقية حياتك وأن تكون بمثابة عكازه يسترشد بك..»

ومن ثم إلى يومنا هذا أصبح الحب ضريراً لا يرى سوى ما يمليه عليه الجنون يقوده دون ثوابت.

القصة الرابعة

سر الأسرار

كان أحمد وسارة يعيشان معاً منذ تسع سنوات لم ينعما فيها بالهدوء والراحة ولم يتذوقا طعم السعادة معاً بل كانا دائما في شجار دائم وصراع يومي على كل أمور الحياة.

ماذا سنأكل ؟.. ماذا سنرتدي ؟... ماذا سنشتري ؟... إلى أين سنذهب ؟... متى سنعود ؟... متى سننام ؟ وربما بماذا سنحلم ؟؟؟

كان هذا هو حال كل المتزوجين في هذه المدينة شجارات في الصباح والمساء بلا هدف محدد أو فائدة تذكر.....

وذات يوم لاحظ أحمد وصول ساكن جديد بجوار منزلهما، كانا رجلا وزوجته في السنة الأولى لزواجهما.

نظر إليهما وهما يضحكان ممسكاً كل منهما بيد الآخر وهاهما يحملان أمتعتهما بنفسيهما دون مساعدة من أحد وينقلاها إلى منزلهما الجديد.

كانت الفرحة ظاهرة على وجنتيهما..... وكانا يتبادلان نظرات الحب والسعادة.

فبعد عام كامل من الزواج في بيت أهله ها هما أخيراً ينتقلان للعيش في منزلهما الخاص حيث استطاعا معاً بالعمل والصبر توفير النفقات اللازمة لذلك.

كان يراقب هذا المشهد صديقنا أحمد وهو ينظر من شرفة منزله ممسكاً بقدح القهوة ومتخيلا شكل هذين الزوجين السعيدين بعد مرور أسبوعين على الأكثر.... بالتأكيد سيحل بهما تلك اللعنة –كما كان يطلق عليها لعنة الزواج– التي حلت به هو وزوجته سارة.

ثم نادى على زوجته لتشاهد معه هذا المنظر وكأنه يشاهد فيلما كوميديا وينتظر النهاية الدرامية الحزينة كالعادة.

وبعد عام

ها هو أحمد يقف في ذات الشرفه ممسكاً بقدح جديد من القهوة كان قد اشتراه الشهر الماضي بديلا لذلك القدح الذي كان قد كسر في أحد الشجارات اليومية المعتادة .

وعندما اتجه ببصره صوب ذلك المنزل الذي لم يسمع له صوتاً منذ أن جاء السكان الجدد، حتى ظن أنهما ربما وقعا في مصيبة كبيرة، ولكن إذا بهما عائدين من عملهما في تلك السيارة الصغيرة ثم يذهبان إلى منزلهما ويد كل منهما ممسكة بيد الآخر وتعلو الابتسامة شفتيهما، ثم يدخلان إلى منزلهما ويغلقان عليهما بابهما.

تدخل سارة على زوجها وهو في حالة ذهول كبير وتبدأ بالنداء عليه ولكنه لم يكن منتبها لوجودها أصلاً، ثم تبدأ بالصراخ حتى ينتبه لها فإذا به يلتفت إليها هادئا على غير العادة ويشير إلى ذلك المنزل ويخبرها بما رآه لتوه

{ذلك المنظر العجيب} !.

سارة :

— ترى ما سر هذه السعادة ولماذا لم تحل بهم تلك اللعنة ؟.

أحمد :

— لا أعلم.... لابد أن وراء هذا الأمر سبب عجيب... وعلى معرفته.

وفي اليوم التالي كان أحمد وسارة في ضيافة مني.....
{الزوجة السعيدة كما كان يطلق عليها أحمد}.....

يتبادلان الحديث حتى يعود خالد إلى منزله.....{الزوج السعيد كما كان يطلق عليه أحمد}.....

وصل أحمد إلى منزله واستقبلته زوجته استقبالاً حاراً كما تعود وأخبرته بأن هناك ضيوفاً في انتظاره في غرفة الجلوس ثم تركته وذهبت لإعداد الطعام.

لم ينتبه خالد لذلك الدلو المليء بالماء المقابل لغرفه الجلوس الذي تركته منى عند وصول الضيفين بعدما كانت تهم بتنظيف المنزل وإذا به يتعثر في ذلك الدلو ويسقطه ويملئ الماء المكان.

تخرج منى مندفعة باتجاهه مساعدة له على النهوض قائلةً:

- آسفة يا خالد لقد كان خطئى، ما كان على ترك الدلو في هذا المكان.

مسح خالد بيده على رأسها برفق وقال :

- بل كان خطئى أنا، أنا الذي لم أنتبه لوجوده هنا، أنا آسف.

وفي تلك اللحظة استأذن أحمد وسارة في الرحيل ورغم إلحاح خالد ومنى عليهما في البقاء إلا أنهما أصرا على المغادرة على وعد بالعودة في اليوم التالي.

وعندما غادرا المنزل قالت سارة :

- لماذا خرجنا، نحن لم نعرف ذلك السر العجيب الذي جئنا من أجله.

ضحك أحمد ثم أمسك بيدها برفق وقال لها :

- كل هذا ولم تعلمي؟؟!!..

{هم دائما مخطئون..... ونحن دائماً علي حق}

وهذا هو السر يا عزيزتي.

استراحة

سئل حكيم عن خير النساء

قال:

التي ترضي ربها

وتدلل زوجها

و لا تفارق بيتها

وتصلي خمسها

ولا تخرج سرها

و لا يُرى منها نعلها

ولا يسمع صوتها

ولا يعرف وصفها

العزيزة في قومها

الذليلة في نفسها

في فراشها مشبعة غانية

ولوليدها مرضعة حانية

بيتها جنة دانية.

إن وجدت من زوجها خيراً شكرت

وإن رأت منه شراً صبرت.

وإن دخل عليها سرت و تبسمت

وإن خرج منها حزنت وتشوقت

وإن غضب منها تحملت وتحلمت

إن أقبلت عليه أعجبته

وإن غاب عنها حفظته

وإن رأت عيبه سترته

جعلكن الله خيراً من هذه.

ورزقكم الله خيراً منهن.

القصة الخامسة

الشرنقة

في ليلة من ليالي الربيع الدافئة، وفي بستان منزلهما الصغير حيث الأشجار ذات الأزهار الزاهية الألوان والروائح، والفاكهة الطيبة اللون والمذاق، ونسيم الريح يمر بين أوراق الشجر فيعزف بأعذب النغمات، وعصافير الزينة تتغنى بأروع المقطوعات الموسيقية، أخذ عصام وحنان يتسامران كعادتهما في كل ليلة والسعادة تملأهما، فقد رزقا بطفلة آية في الجمال وقد اختارا لهما اسم «حنين».

لم تكن حنين هي الطفلة الأولى لهذه الأسرة فقد رزقا قبلها بثلاثة أعوام بطفل سماه «حبيب».....

كان ذا صورة رائعة يحبه كل من يراه كان كل سكان القرية يحسدون عصام على امتلاكه لهذا الطفل وتوقع الكثيرين بأن هذا الطفل سيكون له شأن عظيم في المستقبل لما يملكه من نباهة وسرعة في التعلم تجلت في سن صغير جدا...

كانت والدته حنان متعلقة به وكانت بجانبه وملازمة له باستمرار لدرجة كان لا يحبذها زوجها عصام...

بالتأكيد حبه لولده لم يكن يقل مثقال ذرة عن حب زوجته له ولكنه كان يخشى أن ينشأ حبيب بهذه الطريقة، وكان يرى أنه لابد أن يشعرحبيب بأنه فرد مسؤول وليس كل ما يطلبه مجاب دائما.

كانت حنان حريصة دائما على توفير كل ما يطلبه حبيب منها سواء احتاج إليه أم لا، كانت لا تدعه يخرج من المنزل إلا في صحبة والده أو معها، أما غير ذلك فممنوع مهما كانت صلة القرابة، أو قوة العلاقة بالغير.

أثناء تعلمه للسير على قدميه كان والده يحاول كثيراً أن يجعله يفعل ذلك وحده بلا مساعدة، وكان يقول دائما لزوجته:

— «دعيه يسقط ثم يقف ثم يسقط.. لا تنتبهى لبكائه، وصدقيني مرة بعد مرة سينسى العناء، وسيفرح لأنه قد تعلم».

ولكن لم تكن حنان توافقه أبدا على ذلك، فما يلبث حبيب أن يبدأ بأول خطواته على قدميه فيسقط إلا وتندفع نحوه حاملة إياه فى أحضانها مداعبة له حتى يتوقف عن البكاء وموجهة اللوم لزوجها متهمة إياه بقسوة القلب وبأنه لا يفقه شيئاً فى رعاية الأطفال.

بدأ حبيب يكبر شيئاً فشيئاً وعصام لا يرضيه هذا الحال، وبعد أن أتم عامه الرابع أراد عصام أن يذهب به إلى روضة الأطفال، وهنا بدأت المشاكل مع زوجته حنان حيث كانت لا تريد أن يبتعد عنها، وكانت تعتقد أن ابنها لا يزال صغيراً ولا يوجد ما يدعو إلى ذهابه الآن، فما المانع من أن نصبر عاما أو اثنين، ثم ما الداعي أصلاً لدخوله الروضة، فقط ننتظر حتى يبلغ سن دخول المدرسة وبعدها نضمه إليها.

وأمام إصرار عصام الشديد على خروج ابنه وذهابه للروضة وحرصه على ذلك، لم يجد بُدًّا من الاستجابة لشروطها، حيث اشترطت عليه أن يصحبه يوميا ذهابا وإيابا {بالرغم من أن الروضة تبعد عنهما بمقدار لا يتجاوز بضع أمتار} وكذلك اشترطت عليه مصاحبته فى الأسابيع الأولى وأنها لو شعرت بعدم الأمان في أي وقت فستخرجه منها.

مع مرور الشهور بدأت حنان تعتاد على ذلك برغم ما كانت تشعر به من تمزق قلبها ولكنها كانت تلتفت لنجاح ابنها في تعلم الكثير خلال وقت قصير.

وقبل أن يتم حبيب عامه السادس وأثناء عبوره الطريق ذات يوم في طريقه لبائع الحلوى، لم ينتبه قائد السيارة لمرور ذلك الطفل فصدمه وسقط ميتا في الحال.

كانت الفجيعة كبيرة لعصام وحنان، لم يصدقا ما حدث، فها هو ذلك المنزل السعيد تنطفئ أنواره، وينطفئ مصباح السعادة في البيت الصغير.

كانت حنان تشعر في قرارة نفسها بأن زوجها هو السبب في ما حدث لابنها، فلو لم يكن مصمماً على خروجه من المنزل منفرداً من وقت لآخر لما حدث ما حدث، ولكن فيما يفيد اللوم أو العتاب الآن... قدر الله وما شاء فعل.

وبعد أشهر قليلة بدأ الفرح يدخل في قلبها عندما أخبرها الطبيب بأن حنان تنتظر مولوداً جديداً خلال أشهر قليلة...

وبالرغم من أن حملها الثاني كان أقل ألماً من حملها الأول، إلا أن عصام لم يدخر جهداً وبذل أضعاف ما بذله في حملها الأول لتوفير سبل الراحة لها.

وها هما اليوم يحملان الطفلة بين أيديهما، يداعبنها ويلاطفنها ويحلمان بمستقبل مشرق لها.

وكما هو متوقع....

كان خـوف حنـان علـى ابنتهـا أضعـاف مـا كان الحـال عليـه بالنسبة لحبيب، بـل في كثير مـن الأحيـان كانـت تمنـع عصـام مـن حملهـا خوفـا عليهـا، وبرغـم بلوغهـا العامـين ونصـف إلا أنهـا كانـت حتـى لا تدعهـا تسـير أو تحبـو وحدهـا، بـل تحملهـا علـى كتفيهـا دائمـا أينمـا ذهبـوا.

كان عصـام يعلـم تمامـا مقـدار مـا تعانيـه حنـان مـن ألم في قلبهـا بعـد فـراق ابنهـا حبيـب، ولكنـه يعلـم أيضـا أن هـذه الطريقـة في التربيـة ربمـا تنشـئ طفلـة عاجـزة في حياتهـا، فكمـا كان يخبرهـا سـابقا.....

عصام :

— إن عطفك هذا زائد عن الحد يا حنان.

حنان :

— ومـا الـذي يمكنـني فعلـه إنـني أخـاف علـى ولـدي مـن نسـيم الهـواء.

عصام :

— صدقيـني لا يوجـد في الحيـاة نسـمات، بـل هـي ريـاح عاصفـة، ولـو لم يتعلـم مواجهتهـا فسـتكون نهايتـه.

لم تكـن تلتفـت لـكلام زوجهـا سـابقاً، أمـا اليـوم فلـم تعـد تعطـي الفرصـة لنفسـها لسـماعه أصـلا، ويكفيهـا مـا عانتـه مـن حـزن وعـذاب بعـد فـراق ولدهـا.

والآن عصام يعلم تماما أنها لن تستمع إليه مهما حاول، ومهما ابتكر من أساليب في الكلام، فقد كان يشعر بيأس كبير تجاه هذا الأمر، خاصة بعد تلك الليلة التي قالت له زوجته فيها.....

حنان :

— من الآن وصاعدا أنا المسؤولة عن تربية ابنتي، وقد رأينا بأعيننا نتيجة تربيتك، فأرجوك... أنا لا أريد أن أخسر ابنتي.

خرج عصام من المنزل وجلس في حديقته متأملاً تلك الفراشات الصغيرة التي لم يعد يراها منذ وقت طويل، ثم انتبه لتلك الشرانق المعلقة والتي لم تخرج منها الفراشات حتى الآن.

وأثناء تأمله لذلك المنظر العجيب خطرت في باله فكرة رائعة وقرر تنفيذها على الفور....

عصام :

— حنان.... حنان..... تعالي بسرعة.

حنان :

— ماذا هناك يا عصام ؟ هل تحتاج مقص الأشجار؟!!

عصام :

— لا.... لا أحتاج لشيء... فقط أريدك أن تستمتعي بذلك الجمال الطبيعي الساحر.

نزلت زوجته إلى الحديقة، وكما قال عصام فعلاً، لقد كان مظهراً خلاباً لتجمع الفراشات حول الأزهار، ثم سألها....

عصام :

— ما رأيك في هذه الفراشات الجميلة.

حنان :

— إنها رائعة حقاً.... سبحان الله.

عصام :

— هل تعلمين من أين أتت؟.

حنان :

— ماذا تقصد ؟؟!.

عصام :

— هل ترين تلك الشرانق هناك ؟.

حنان :

— نعم.

عصام :

— تعالى نراقبها معاً.

جلسا يتأملان أحد الشرانق لساعات، ثم ابتعد عصام عنها وترك بجوارها مقصاً صغيراً وأخذ يراقبها من بعيد.

ظلت حنان تراقب الشرنقة بينما كانت الفراشة تجاهد لتدفع بجسدها من خلال ثقب صغير في الشرنقة، ثم بدا أنها عاجزة

عن إحراز المزيد من التقدم وأنها لم تعد قادرة على الذهاب أبعد من ذلك.

لذا قررت حنان مساعدتها فأخذت المقص وشقت بها الجزء المتبقي من الشرنقة.

بعدها خرجت الفراشة بسهولة، ولكن بدا جسمها متورماً وجناحيها صغيرين ذابلين !.

استمرت حنان في مراقبة الفراشة لأنها كانت تتوقع في أية لحظة أن يكبر الجناحان ويمتدا إلى أن يصبحا قادرين على دعم جسمها.

لكن شيئا من ذلك لم يحدث.....

هنا اقترب منها عصام وبادر بسؤالها قائلًا...

عصام :

— هل تعلمين ما الذي حل بالفراشة ؟

حنان :

— لا..... لقد كنت أحاول مساعدتها ولكني لا أعرف ما الذي أصابها.

عصام :

— في الحقيقة ستقضي الفراشة بقية حياتها تزحف وتدور بجسمها المتورم وجناحيها الصغيرين الذابلين ولن تتمكن من الطيران أبداً، ما لم تفهمينه أنه بالرغم من تسرعك وعطفك، هو أن

الشرنقة المحصورة وروح العزيمة التي كان مطلوب من الفراشة إظهارها كي تنفذ من خلال الفتحة الصغيرة كانت الطريقة الوحيدة التي تمكن الفراشة من ضخ السائل من جسمها إلى جناحيها كي تستطيع الطيران بمجرد أن تظفر بحريتها وتخرج من الشرنقة.

في أحيان كثيرة تكون العزيمة هي السلاح الذي نحتاجه في هذه الحياة ولو كنا نعيش بلا مشاكل وتحديات لأصابنا العجز والشلل، ولما كنا أقوياء.....

ولما استطعنا أن نطير.

استراحة

من أقوال الدكتوره دعاء الراوي:

قبل أن تيقظوا أطفالكم.. اجلسوا بجوارهم لثلاث دقائق، اقرأوا بصوت منخفض آية الكرسي، والمعوذات، ثم أيقظوهم بهدوء، وأكثروا من التسبيح بدل الصراخ.

اجلسي بجوار أبناءك قبل النوم لدقائق.. أخبريهم أنك تحبينهم.. احضنيهم.. فكري لهم في فكرة مشجعة للغد.. حتى يناموا متأملين، ويستيقظوا نشطين.

لا تسمحوا لأطفالكم بمشاهدة التلفاز (أو الأيباد) مباشرة عند الاستيقاظ.. حيث تكون بؤرة العين في اتساع بعد الاستيقاظ، وقد تضرها تلك الأشعة.

تدليك طفلك يمكن أن يساعد على تهدئته، ويساعد على الهضم، ويحسن من عادات نومه، كما أنه ينمي الصلة العاطفية بينكما، فلا تحرميه من تلك اللمسات

الطفل صاحب الأخلاق العالية والسلوك القويم نتيجة طبيعية لاحترام متبادل بين الزوجين.. والعكس صحيح

السماح للأطفال بالنوم مع الأب والأم مرة في الأسبوع أو في العطلات، يعمق التواصل الروحي معهم.. ويزيل عنهم أوهاماً كثيرةً حول علاقة الأب بالأم.

أكثروا من استخدام العبارات التالية مع أطفالكم: إنني فخور بك، أنت شخص رائع، ما هو رأيك في.. ؟، هل يمكنني مساعدتك ؟؟.

الحوار المقنع غيرالمؤجل من أنجح الأساليب عند ظهور موقف عناد من طفلك؛ لأن إرجاء الحوارإلى وقت آخر يُشعرالطفل أنه قد ربح المعركة دون وجه حق

اطلبوا من أطفالكم التوقف عن البكاء قبل تلبية حاجتهم.. أي كانت.. حتى لا يعتاد على البكاء كسلوك للإلحاح والطلب

اجلسي إلى جانب سرير طفلك أثناء نومه قبل إيقاظه، احمليه واحضنيه ليسيقظ على أقوى لحظات الحب والحنان

أكثروا من الأقوال التي تحبب أطفالكم بالله.. الله يرزقنا، الله يحبكم فمتى ما نشأ الطفل على حب الله، خاف من عصيانه، فحسن عمله وتميز بين أقرانه.

القصة السادسة

ليتها تعي

منى :

– أريدك أن تعدني.

أحمد :

– بماذا ؟.

منى :

– لا تقف في طريق دراستي وعملي فهذا طموحي منذ الصغر ونجاحي في هذا سيعطي معنى لحياتي.

أحمد :

– أعدك.... واعلمي أن نجاحك وتفوقك يزيدني شرفاً ومنزلةً، وأبداً لن أكون حجر عثرة في طريق تحقيق ذلك.

منى :

– إنني حقاً أحبك.

أحمد :

– وأنا أيضاً يا..... يا....يا....أميرتي.

.....

وبعد مرور سبع سنوات.....

منى :

– هل تتذكر ذلك يا أحمد.

أحمد :

— وهـل أخلفـت وعـدي... انظـري إلى حالـك، أنـت الآن حاصلـة علـى درجـة الدكتـوراة في مجـال إدارة الأعمـال، وتفوقـك وتخرجـك لم يكـن ليتـم أصـلاً لـولا تحملـي ووقـوفي بجانبـك، ودعمـك المسـتمر لتصلـي إلى مـا أنـت عليـه الآن.. وأعتقـد أن مـن حقـي الآن أن أشـعر أنـني أعيـش في بيـت زوجـة وليـس مديـرة شـركة.

منى :

— أنـت تعلـم جيـداً أن عملـي لـن يؤثـر علـى أمـور البيـت، فأنـا لم أقصـر يومـاً في أداء واجـبي نحـو منزلنـا، أو حتـى نحـوك أنـت وأولادنـا فمـا المانـع مـن ذلـك.

أحمد :

— هـذا غـير صحيـح، فقـط أنا لا أشـكو، ولكـن إذا كنا نريـد أن نعرف هـل هنـاك تقصـير أم لا، فاسمحـي لـي بسـؤالك بعـض الأسـئلة :

— ما هو ترتيب ابننا خالد بين زملائه في الفصل ؟

— متي تبدأ امتحانات ابنتنا سعاد ؟

— هل أنهت أختك دراستها الجامعية أم لا ؟

— كـم مـرة تم اسـتدعائي كولـي أمـر الطالـب خالـد علـى أثـر مشـاكله الدراسية ؟

— مـا اسـم قائـد السـيارة الـذي يقـوم بإيصـال الأولاد يوميـاً ذهابـاً وإيابـاً ؟

– هل تعرفين موعد.....

منى (مقاطعة) :

– أنت لا تقدر أي شيء، ربما أكون قد انشغلت لبعض الوقت، ولكن انظر لما حققته، هذه الجائزة التي حصلت عليها أثناء تكريمي من الجامعة لم أكن لأحصل عليها لو أنني أعرف اسم قائد السيارة، أو حتى موعد عودتك من العمل.

يدفعها أحمد غاضباً، فتسقط الجائزة من يدها وتنقسم لنصفين، ويخرج من منزله غاضبا، دافعاً الباب بكل قوته مصيحاً:

– «نجاحك ليس له أي قيمة وبيتك ينهار».....

كانت التاسعة صباحاً، الأولاد ذهبوا لمدارسهم، وأحمد يحضر حقيبته للذهاب إلى عمله كمدير لقسم العلاقات العامة بأحد شركات الدواء الصغيرة.

كان العمل الذي يقوم به لا يحتاج لكثير من الجهد أو العناء، ولكنه يشعر بضغط كبير؛ لأنه كثيراً ما يكون متحملاً لأعباء منزله وحده على مدار السنوات السابقة، فدراسة زوجته {التي يحبها ويكن لها كل احترام وتقدير}، كانت عائقاً أمامها في سبيل رعاية بيتها ولم يكن أحمد يشعرها بذلك، بل كان داعما لها، وكان يحاول دائما تذليل كل الصعاب أمامها لتحقيق ما تصبوا إليه من نجاح.

كان وجود أختها في المنزل من أجل دراستها معينا كبيرا له، فقد كانت تقيم معهم لشهور عدة وكانت ترعى أولاده رعاية

كبيرة وكان مطمئنا لوجودها في المنزل، أما الآن وقد انتقلت للعيش في بيت زوجها منذ أسبوعين لم يعد أحمد يشعر بالأمان على أولاده، وخاصة بعد تلك المشكلة التي حدثت في المدرسة، حيث وقع شجار كبير بين خالد وزملائه تسبب في إصابة أحدهم بكسر في ساقه مما اضطر مدير المدرسة لاستدعائه وإنهاء المشكلة بين أولياء الأمور بشكل ودي.

أحمد يقدر تماماً مجهود منى المبذول، ويعلم تماما أنها لا تدخر جهداً في سبيل نجاحها المهني أو نجاحها الأسري ،ويشعر في داخله بفخر كبير بعد حصولها على درجة الدكتوراة بتقدير ممتاز، ويعلم تماما أهمية هذا النجاح بالنسبة لها

ولكنه يعلم تماما أن البيت الأن يحتاج إلى أماً تديره، فالأولاد يحتاجون إلى رعاية وإلى أشياء غير الطعام والشراب والدواء.

يحتاجون لمن يسمعهم، يحتاجون لمن ينصحهم ويوجههم.

وحتى هو نفسه يحتاج إلى زوجة.... زوجة بكل ما تحمله الكلمة من معني.

كما يقولون الزوجة هي الأم والأخت والصديقة والابنة.... هي شخص مركب من عدة أشخاص..... هي السكن.... هي نبع الحنان لأولادها وفيض السعادة لزوجها ومذاق الحياة لبيتها.

ربما لم يستطع أحمد أن يخبرها بكل هذا..... ولربما تعثرت الكلمات حين أراد أن يخبرها بذلك... ما أصعب التعبير عن المشاعر وخاصةً في بيئة نشأ أفرادها معتقدين أن الحديث بمثل هذه الكلمات لا يجوز إلا في الروايات أو ربما في بعض من الأبيات.

كان أحمد يعتقد أنها بحصولها على الدكتوراه سيتحول اهتمامها لبيتها وزوجها، ولكن ها هي اليوم وبعد ذهاب الأولاد إلى مدارسهم، تخبره أنها تريد أن تعمل كمديرة لأحد الأقسام في إحدى الشركات الكبيرة، وسيتطلب ذلك سفرها الدائم يومياً وعملاً مستمراً لستة أيام أسبوعياً، الأمر الذي يشعر أنه لن يكون قادرا على تحمله بأي حال من الأحوال.

وبعد هذا الحوار الساخن ذهب أحمد إلى عمله، وبقدر غضبه من هذا الحديث، وإصرارها الغير مبرر على هذا العمل تحديدا، إلا أنه كان يشعر بحزن عميق وكاد قلبه أن ينفطر بعد أن تحطمت جائزتها أمامها فهو يعلم تماماً ما تعنيه هذه الجائزة بالنسبة لها.

ذهبت منى إلى غرفتها وفتحت درج مكتبها ووضعت حطام جائزتها ووضعت فوقه بعض من أوراق الجرائد وكانت بهذه الفعلة وكأنها تدفن نجاحها وسعادتها، بل وربما.... حياتها !!!.

أخذت منى تفكر في كلام أحمد وتصرفه معها، هل كان محقا في كلامه أم لا، ولكن ما كان يشغل تفكيرها بشكل أكبر طريقه كلامه وتصرفه، لم تره غاضبا بهذا الشكل من قبل، لقد كانت تغيب عن المنزل بالأسابيع ولم يكن يوماً يلومها على ذلك، بل كان دائماً حريصاً على استقبالها بنفسه في كل مرة تعود فيها حتى لو اضطره ذلك إلى ترك عمله في ذلك اليوم، أو الاستئذان من عمله مبكرا مهما كانت نتائج ذلك.

فما الذي تغير ؟؟!!!.

لاحظت منى أن أحمد قد نسي هاتفه الخلوي في المنزل على غير العادة وربما ذلك كان نتيجة لما دار بينهما في الصباح حتى أنه قد نسي أن يأخذ معه حقيبته إلى العمل.

وكان أحمد معتادا على تسجيل مكالماته الهاتفية كعادة في صغره، ثم لتذكره بمواعيده واتفاقاته في عمله في كبره، وكان يحب أن يسمعها في وقت فراغه فربما ذكرته بموقف طريف أو ذكرى جميلة.

وكان معتادا بعد كل مكالمة أن يقوم بتسجيل المكالمة باسم صاحبها ونقلها إلى ملف خاص بصاحب المكالمة.

أخذت منى تتفحص هاتفه وتقلب فيه يميناً ويساراً ولم يكن هذا أمراً غريباً فقد اعتادا على ذلك منذ زواجهما قبل سبع سنوات.

استوقفها ذلك الملف المسمى «ليتها تعي»، وكان بداخله تسجيل بينه وبين ابنه خالد وكان كالتالي :

خالد :

— أبي كيف حالك ؟.

أحمد :

— بخير، هل انتهى اليوم الدراسي ؟.

خالد :

— لا، ولكني الآن في وقت الراحة.

أحمد :

— حسناً .. هل أنهيت طعامك ؟.

خالد :

– نعم.... أبي هل ستأتي أمي لتأخذنا من المدرسة اليوم ؟.

أحمد :

– أعلم أن السائق سيارته معطلة وسآتي إن شاء الله لأوصلكم للبيت.

خالد :

– إن أمي لا تحبني.

أحمد :

– لماذا تقول ذلك يا خالد.

خالد :

– لماذا لا تريد أمي أن تأتي إلى المدرسة وتأخذنا مثلما تفعل والدة سمير؟! ، إنها توصله كل يوم وتأتي آخر اليوم الدراسي لتوصله إلى المنزل حتى إنها لا تتأخر عليه في أي يوم، بل تنتظره حتى إذا خرج من فصله تقدمت نحوه وقبلته وأخبرته أنها تحبه، ولكن أمي لا تفعل شيئا من ذلك.

أحمد :

– لا يا حبيبي، إن أمك تحبك كثيراً.. إنها فقط مشغولة لبعض الوقت، ولذلك طلبت مني أن أقوم أنا بذلك، أم أنك لا تحبني ؟.

خالد :

– أنا أحبك كثيرا يا أبي، وأحب أمي ولكني أشعر بأنها لا تحبني.. حسناً يا أبي على الذهاب للفصل الآن، لقد انتهى وقت الراحة، سأنتظرك.

أحمد :

– اعتني بنفسك يا ولدي... أحبك.

انتهت المكالمة

شعرت مني بصدمة كبيرة تجاه ما سمعته... لقد سمعت بأذنها مقدار ما يعانيه خالد في غيابها وهذا ربما قطرة في بحر.

أخذت تحاول أن تتذكر متى كانت آخر مرة ضمته فيها إلى صدرها، متي كانت آخر مرة قبلته فيها.

بالرغم من حبها الشديد له ولأخته ولكنهم لا يشعرون بذلك، بل يعتقدون بأنها لا تحبهم ثم تنبهت لمقولة زوجها :

– «هي من طلبت مني ذلك لأنها مشغولة»

هي لا تتذكر أبداً أنها طلبت من أحمد مثل هذا الطلب... لماذا قال ذلك ؟!...

لم يكن يريد أن يشعره بغيابها، أو حتى أن تهتز صورتها الرائعة الكائنة في عقله أمام نفسه وأولادهما.

انهمرت الدموع من عينها قائلة: «آسفة يا أحمد أنت حقا زوج رائع».

ثم تنبهت إلى أنها في المنزل وحدها، وبعد أن أيقظت تلك المكالمة شيئاً كان نائماً في قلبها وأنارت شمعة كادت رياح الدنيا أن تطفئه للأبد، قررت أن تقوم بتهيئة نفسها وأن تستعد للذهاب إلى المدرسة، فها هي الساعة الواحدة بعد الظهر وبالكاد تستطيع اللحاق بأبنائها قبل وصول السائق إلى المدرسة.

لم يستطع أحمد أن يعمل بشكل جيد... كان يعاتب نفسه على فعلته ربما هو ليس مخطئا في كلامه ولكنه بالتأكيد كان بإمكانه أن يخبرها بذلك بشكل أقل حده وأكثر عقلانية وبالتأكيد لم يكن يريد أن يحطم جائزتها.

ولكن ما حدث ليس له أي تبرير على الإطلاق.

يقرر أحمد أن يذهب إلى المدرسة اليوم للعودة للبيت مع الأولاد وفي الطريق يمر على بائع الزهور فيشتري لزوجته باقة من أروع الأزهار ومعها بطاقة اعتذار رقيقة، ربما ليست كافية ولكنه يعلم تماماً طيبة زوجته وحسن نيتها.

يخرج خالد من الفصل ذاهباً إلى فصل أخته الصغرى سعاد حيث كانت دائما تنتظره في الفصل حتى ينتهي هو ثم يبدأ انتظارهما معا حتى وصول السائق أو والدهما... أيهما أقرب.

وفي طريقه إلى فصل أخته إذا به يسمع صوتاً ليس غريباً عليه، ولكنه لم يعهد سماعه من قبل في هذا المكان...

نعم...إنه صوت أمي....أنا أعرفه جيداً.

إلتفت ورائه، فإذا بأمه تشير إليه بيديها وعلى وجهها تلك الابتسامة الحانية التي تحمل في طياتها كثيراً من الألم على ما فاتها.

يندفع خالد تجاه منى، وتقبله وتحمله بين ذراعيها قائلةً

— «أحبك كثيرا يا خالد سامحني يا بني».

تنهمر دموعها على خديها وتشعر بيد طفلها وهي تلتف حول عنقها..... يا له من شعور رائع كانت محرومة منه طوال سنوات كاملة... ثم شعرت بيد ثالثة تمسح دموعها بلطف..... تلتفت فإذا هو زوجها أحمد يضمها لصدره قائلاً:

— «سامحيني يا منى.... سامحيني يا حبيبتي... أنا آسف»

منى :

— لا داعي أبداً للاعتذار، أنا من أخطأت كثيراً في حقك... أرجوك سامحني.

وفي ظل عناق دافئ إذا بصوت يصرخ قائلاً:

— «أنا أيضا أريد أن يحملني أحد، أو على الأقل يحمل حقيبتي».

يلتفت الأبوان فإذا بابنتهما الصغيرة تنظر إليهما وتشعر بالغيرة من أخوها، لماذا هو محمول وهي لا ؟؟!!.

يضحك أحمد ومنى، ويقبل أحمد رأسها ويحملها بين يديه ويعودوا جميعاً إلى المنزل، وينعم الجميع بيوم هادئ بعيداً عن عاصفة كادت أن تطيح بالأخضر واليابس هذا الصباح.

شعرت منى اليوم بالمعنى الحقيقي للسعادة والنجاح، إذ أدركت تماماً معنى أن تعيش وسط أسرة تحبها وتحبك، تشاركها حياتك وتأخذ منك كل وقتك، وتعلمت أن أي نجاح خارجي لا يعد نجاحاً إلا بتفوق داخلي في تلك المؤسسة الرائعة المسماة بالأسرة.

يدخل أحمد إلى الغرفة حاملاً في يده تلك الجائزة بعد أن بذل قصارى جهده محاولاً إصلاحها.... فتأخذ منه منى الجائزة وتضعها على مكتبها قائلة :

— «هل تعلم أن شكلها الآن أصبح أجمل بكثير.... شكراً على مجهودك، ولكن لم يكن هناك أي داعٍ لهذا العناء».

أحمد :

— أنا من يريد أن يشكرك على سعة قلبك.

منى :

— لقد عشت اليوم لحظات شعرت فيها بالحياة الحقيقية، كم أنت رائع يا أحمد.

أحمد :

— ولكنك حاصلة على الدكتوراه..... بالتأكيد هذا أمر رائع.

منى :

— ربما أنا حاصلة على الدكتوراه في إدارة الأعمال، ولكنك حاصل على الدكتوراه في السعادة في الحياة....شكرا يا زوجي العزيز.

استراحة

إحدى الزوجات تقول :

كنت إذا أردت إيقاظ زوجي من النوم للصلاة أغسل يدي بالماء حتى تكتسب نوعاً من البرودة وأعطرها بالعطر المفضل لديه، فإذا ما لامست برودة يدي جسمه الدافىء واستنشقت أنفاسه عبير ذلك العطر استيقظ من نومه وإن كان يغط في سبات عميق.

وتقول أخرى :

– قال لي بغلظة سوف أذهب للغداء مع أصدقائي هل تريدين شيئاً ؟

قلت له :

– حسناً ولكن لا تتأخر لأن الكهرباء سوف تنقطع.

استدار نحوها في تعجب وقال :

– من قال لك أنها سوف تنقطع ؟

أجابته بقولها :

- أنا أقول لك ذلك، بمجرد خروجك من البيت يظلم كل شيء وبمجرد دخولك البيت يضيء كل شيء.

تبسم بعد أن أدرك ما ترمي إليه وذهب وكله شوق للعودة إلى البيت.

قالت أخرى :

اعتاد زوجي كلما ذهب مع الشباب في رحلة أن اخبىء له بين ملابسه رسالة حب تعبر عن مشاعري نحوه وقت

غيابه وحالي وحال أولاده من دونه. وذات مرة لم أكن راضية عن سفره فلم أكتب له تلك الرسالة وعندما عاد من السفر فاجأني بقوله :

- لم أترك شبراً في الحقيبة إلّا وفتشت فيه عن رسالتك التي عودتني عليها بل أني فتشت الحقيبة ثلاث مرات في كل مرة أقول في نفسي لعلها وضعتها هنا ولم أرها لعلي أفتش جيداً عنها.

تندمت كثيراً على فعلي ذلك وأنا ألمح حنين الشوق في تعبيرات وجهه،عزمت في نفسي بعدها ألا أقطع عادة حسنة كنت أقوم بها ما استطعت.

همسة في أُذن كل فتاة:

الزوجة تستطيع أن تجعل من بيتها جنة

لايفارقها زوجها وتستطيع أن تجعله جحيماً

لايُطاق، يبتعد عنه ويلتجئ إلى من ينقذه منه.

القصة السابعة

حنان

محمود :

- هناك من الأزواج من يسخط ويسب ويلعن حياته صباح كل يوم عندما تبدأ زوجته بسرد قائمة من الطلبات المنزلية الضرورية ورغم أنها لا تدخر جهداً في إعدادها ومن ثم استغلالها الاستغلال الأمثل إلا أن أيا منا لا يدرك ذلك إلا بعد فوات الأوان... أو ربما بعد أن يمر بتجربتي خلال الأسبوع الماضي.

حسام {ساخراً} :

- ها قد بدأت حصة الوعظ لهذا اليوم، هيا يا شباب لنترك ما بأيدينا ونغلق هواتفنا ولننتبه، فالشيخ محمود «حفظه الله ورعاه» سيفيض علينا من علمه الغزير..... هههههه.

خالد :

- ماذا حل بك يا محمود أنت تقول ذلك؟، هل نسيت أنك دائم الشكوى والسخط من حياتك مع حنان أنت لا تدع فرصة للسخرية أو للإستهزاء أو حتى للتهكم عليها وعلى تصرفاتها إلا واستغللتها الاستغلال الأمثل، أم أنك أصبحت من أصحاب الكرامات السعداء في بيوتهم.

سمير :

- لا أظن ذلك يا خالد، أعتقد أن محمود قد تناول الإفطار اليوم بعد أن دست له حنان بعض المخدرات في الطعام فأصبح يهذي بهذه الكلمات، وماهي إلا ساعات وسيعود الوضع إلى طبيعته.

.... ينفجر المكتب بالضحك.

كانت الساعة الثالثة عصراً وكان الجميع يستعد في مكتب «الرواد» للاستشارات القانونية للرحيل بعد يوم ملئ بمغامرات العمل التي لا تنتهي، وبعد يوم عاني فيه العاملون كثيراً وربما اعتبروا ما قاله محمود من قبل الفكاهة ليروحوا عن أنفسهم بعد يوم عمل شاق.

ورغم ما عرف عن محمود من خفه الظل وروح الدعابة إلا أن نظراته وتعبيرات وجهه في ذلك الوقت لم تكن تعني أو تشير إلا إلى ألم شديد كان يشعر به وكان يريد مشاركته مع زملائه.

انتبه إلى ذلك زميله حسان الذي آثر عدم الانجراف وراء تعليقات زملائه الساخرة وظل يراقب نظراته التائهه ليتأكد من ظنونه حول حالته في هذا اليوم.

وبعد أن تأكد من مغادره الجميع وأنه لم يعد بالمكتب إلا هما، اقترب منه وأخذ يلوح بيده أمام عينيه.....

حسان :

— محمود..... هل تراني..... هل أنت معنا هنا ؟!.

محمود :

— نعم.... هه..... ماهذا إنها الثالثة والربع لقد انتهى وقت العمل، حسناً يا حسان هل كنت تقول شيئاً إن كنت تريد شيئاً فأرجوا أن تؤجله للغد فقد اشتقت إلى البيت وأود الرحيل.

حسان :

- هـذا بالظبـط مـا أريـد معرفتـه... مـاذا حـل بـك يـا رجـل، ماقلتـه ليـس أبـداً مزاحـاً مـاذا حـدث ؟؟!!!!

هنـا التفـت محمـود إلى حسـان ورأى في عينيـه ذلـك اللمعـان وتلـك الحـيرة الـتي تـدل علـى اندهاشـه وأنـه حقـا يـود أن يسـمع وينصـت وربمـا يريـد أن..... يتعلـم !.

حسان :

- أنـا لا أحسـدك.. لا تخـف يـا محمـود صدقـني لقـد شـعرت بشـعور رائـع بعـد سماعـي لكلامـك وأريـد أن أعـرف هـل اكتشـفت فجـأه أنـك تحـب زوجتـك لهـذه الدرجـة وأنـت الـذي كنـت تختلـق الحكايـات لتبرهـن أن الـزواج مـا هـو إلا مشـروع فاشـل يبنيـه الواهمـون ليعيشـوا أبـد الدهـر نادمـون.... أنـا فقـط أريـد أن أفهـم... إذا كنـت لا تمانـع.

محمود :

- تبـدأ القصـة مـن صبـاح الإثنـين الماضـي وأنـا أرتـب حقيبـتي وأتأهـب للنـزول، وكعادتهـا جـاءت تسـرد طلباتهـا اليوميـة.....

★★★

حنان :

- محمود لا تنسَ أن تحضر معك.....

محمود { مقاطعاً في غضب } :

– ألا تستطيعين أن تدعيني وشأني ليوم واحد فقط، لا أطلب أكثر من ذلك، مجرد ٢٤ ساعة لا أريد فيها أن أسمع عبارات من نوع: احضر كذا..... أريد كذا.... اذهب إلى السوق و.... اذهب..... ادفع..... أحضر.... لقد تعبت حقاً... لم أعد أتحمل ذلك، فقط دعيني ليوم واحد هل ذلك الطلب ممكن؟؟؟

حنان :

– كما تريد... لا تنس أخذ مفاتيحك من علي المنضدة.

محمود :

– لم تمر ثانية واحدة وها أنت تقولين لا تنسَ.... اسمعيني جيداً أنا لا أريد أن أغضب، أنا ذاهب لعملي.

حنان :

– لماذا تحاول أن تفتعل شجاراً معي؟؟!

محمود :

– اسألي نفسك ؟؟!

★★★

حسان :

– أعتقد أنك كنت فظا معها يا محمود ما الداعي لكل هذا ؟!.

محمود :

– هذا ما حدث، ولكن كان هذا هو يومي المعتاد منذ زواجنا

وحتـى الأسـبوع الماضـي.

حسان :

– خمـس سـنوات وأنـت تبـدأ يومـك بشـجار مـن هـذا النـوع !! سـامحني لقـد كنـت مبالغـاً يـا محمـود.

محمود :

– لا يهم هذا الآن دعني أكمل لك إذا كنت تبحث عن السر.

حسان :

– كلي آذان صغية..... أكمل.

محمود :

– بعد أن عدت إلى المنزل وقدمت زوجتي الغذاء وكان أرزاً فقط.....

★★★

محمود :

– ما هذا يا حنان ؟!.

حنان :

– إنه غذاؤنا.

محمود :

– لماذا اليوم غذاؤنا أرز فقط ؟!.

حنان :

– لا يوجد في المنزل سوى الأرز.

.... وهنا اشتد غضبي قائلا:

– ولماذا لم تخبريني أن....

حنان {مقاطعة لكلامي} :

– هذا هو طلبك ورغبتك.

سكتُّ وأنا غاضب ولم أدر ما أقوله لها ... وقمت من على المنضدة وأنا أنتوي أن لا يمر ذلك اليوم عليها على خير أبداً.

... وبعد ساعه تشاجرت معها كالعادة لأحد الأسباب التافهه، وتطور الخلاف إلى أن قلت لها إن وجودك في حياتي لا نكهه له وأني لا أشعر معك بالسعادة ووجودك وعدمه واحد، بل أنت في الحقيقه لا تساوي شيئاً في نظري وكل ما تفعلينه تستطيع أي خادمة أن تفعل أفضل منه.

فما كان منها إلا أن نظرت إليَّ بعين دامعة وتركتني وذهبت إلى غرفه الأولاد «الذين كانوا يبيتون هذه الليلة من كل أسبوع عند جدتهم» وتركت أنا الأمر وراء ظهري بدون اهتمام وخلدت لنوم عميق.

مر هذا الموقف على ذهني وأنا أشيع جثمان زوجتي إلى قبرها والحضور يعزيني على مصابي فيها.

كل ما كنت أفكر فيه أنني لم أشعر بفرق كبير... ربما شعرت ببعض الحزن ولكنني كنت أبرر ذلك بأن عشرتي لها لخمس سنوات مضت له وقعٌ على نفسي واعتقدت أن الأمر لن يستغرق يومين ومن ثم سأنسى كل شئ.

عـدت إلى البيـت بعـد انتهـاء مراسـم العـزاء ومـا إن دخلـت البيـت حتـى شـعرت بوحشـة شـديدة قاتلة تعتصـر قلبي، وشـعرت معها بغصة في حلقـي وبضيـق في صـدري، اندفعـت نحـو شـرفتي باحثاً عن نسـمات الهـواء كـي أتنفـس ولكـن حتـى الهـواء شـعرت أنـه قـد رحـل معهـا.

أحسسـت بفـراغ في المنـزل لم أعتـد عليـه، وذهبـت إلى غرفتنـا مسـتلقيا علـى السـرير متحاشـياً النظـر إلى موضـع نومهـا.

بعـد ثلاثـة أيـام انتهـت مجالـس التعزيـة..... اسـتيقظت في الصبـاح متأخـراً عـن ميعـاد العمـل فنظـرت إلى موضـع نومهـا لأوبخهـا وألومهـا كعادتـي علـى عـدم إيقاظـي مبكـراً كمـا اعتـدت منهـا ولكـني تذكـرت أنهـا قـد تركتـني للأبـد ولا سـبيل إلا أن أعتمـد علـى نفسـي لأول مـرة منـذ أن تزوجتهـا.

ذهبـت إلى عملـي ومـر اليوم عليَّ ببطئ شـديد، ولكـن أكثر ما افتقدته هـو محادثاتهـا اليوميـة لكـي تخبرنـي بمتطلباتهـا ثـم يتبعهـا شـجار معتـاد علـى ماهيـة الطلبات، وإخبـاري ألا أتأخر عليها كثـيراً، وفكرت أنـه بالرغـم مـن إنزعاجـي مـن هـذه المكالمة اليوميـة إلا أنـني لم أنكر قط أن طلبهـا مـني ذلـك كان بسـبب حبهـا لـي وخوفهـا على وشـوقها إلىّ.

أتذكـر كلماتهـا الحنونـة لكـني لم أترجمهـا واقعـاً.... كنـت أتعمـد تأخـري خـارج البيـت بـلا سـبب ثـم أعـود لأجـد ذلـك الاسـتقبال المعتـاد... «هـل أحضـرت كل مـا طلبتـه منـك».

كنـت أرى جملتهـا هـذه كأسـوأ اسـتقبال يمكـن أن تسـتقبله زوجـه لزوجهـا، ولكـني الآن اشـتقت إلى سماعهـا ولـو لمـرة واحـدة فالبيـت أصبـح خاويـاً لا روح فيـه.

الدقائق تمر وكأنها سنوات..... يا إلهي... كيف تركتها هكذا ؟!.

كم تركتها تقضي الساعات وحيدة يومياً بدون أن أفكر في إحساسها ؟!.

كم أهملتها ونظرت إلى راحتى وسعادتي دون أن أنظر إلى راحتها وسعادتها ؟!.

وليت الأمور توقفت لهذا الحد من الشعور القاتل.

لقد زاد الأمر عليَّ حين مرضت.....

كم أفتقد ليديها الحانيتين ورعايتها لي وسهرها على راحتى إلى أن يتم الله شفائي وكأنها أمي وليست زوجتي !.

وبكيت كما لم أبك من قبل، ولم أزل أردد :

..... يا رب ارحمها بقدر ما ظلمتها أنا.....

..... يا رب ارحمها بقدر ما ظلمتها أنا.....

..... يا رب ارحمها بقدر ما ظلمتها أنا.....

ظللت هكذا حتى صرعني النوم، ولم أفق إلا على رنين جرس المنبه، فاعتدلت في فراشي، ولكن.... مهلاً.

تمتمت بكلمات الشكر لله تعالى..... يا الله.... الحمد لله.... إنه مجرد حلم..... أضغاث أحلام !.

لم يحدث شيء في الواقع من هذا !.

اندفعت مهرولاً إلى الغرفة التي بها زوجتي.... اقتربت منها وكاد قلبي أن يتوقف من الفرح.

وجدتها نائمة، ووسادتها مغرقة بالدموع.

ربت على كتفها لأوقظها .... فنظرت إليَّ مندهشة بنظرة لا تخلو من اللوم والعتاب.

لم أتمالك نفسي، وضممتها إليِّ بقوة وقبلتها، وأخذت أهمهم في أذنها قائلاً :

— «سامحيني يا حبيبتي.... سامحيني».

أخذت تضمني إليها قائلةً :

— «اهدأ يا زوجي العزيز.... لم يحدث شيء لكل هذا».

نظرت إليها بعين دامعة وقلت لها من كل قلبي :

— أنا أحبك..... الحياة لا تساوي شيئاً بدونك، ولكن..... لماذا تبكين يا حبيبتي ؟!.

قالت :

— خفت عليك كثيراً عندما جئت لأتأكد من وجود الغطاء عليك، ووجدتك تتنفس بصعوبة وأنت مغمور في أحلامك المزعجة.

★★★

حسان :

— كم هي قصة مؤثرة يا محمود.

محمود :

- إن أكثر شيء تعلمته والذي جعلني أشعر بمعنى السعادة الزوجية هو أن الحب أفعال لا أقوال...هو ممارسة وتفهم ولا يخضع لقاعدة.... هو عطاء بلا حدود و...
- أراك غداً..... فقد اشتقت إلى حبيبتي وقرة عيني.

استراحة

يقولون أشجار الياسمين لا تتعب أحداً في البحث عنها

لأن عبيرها العَطِرْ يدل عليها.....

كذلك بعض البشر نعرفهم بما يفوح من طيب أفعالهم

وجميل عباراتهم..

القصة الثامنة

أين أبي

هيا يا أولاد علينا أن نسرع قليلاً فقد اقترب موعد السفر، ووالدكم لا يحب التأخير، هيا ساعدوني....

حاتم (سبعة عشر عاماً) : لماذا يا أمي أنت متعجلة هكذا ليست هذه المرة الأولى التي يسافر فيها.

الأم : كف عن التذمر وهيا ساعد أخاك في حزم الحقائب.

خالد (سبع سنوات) : هيا ساعدني فقد وعدني أبي أنه سيحضر لي هدية جميلة عند عودته هذه المرة.

حاتم صارخاً : وما فائدة كل ذلك هل تنقصك الهدايا والألعاب انظر إلى غرفتك كيف أصبحت، لم نعد حتى قادرين على السير بحرية في أرجائها، ماذا ينقصك أخبرني ؟!.

يخرج خالد من الغرفة باكياً ويعلو صوت صراخه.

الأم (وهي تجري خلف خالد) : لا فائدة منك يا حاتم، دائماً ما تسبب المشاكل.

يخرج حاتم من البيت ويغلق الباب خلفه بقوة.....

يخرج السيد فريد من غرفته مسرعاً ليعلم ما سبب هذه الضوضاء فيرتطم بخالد ويسقطا على الأرض.

فريد : لماذا تبكي يا بني ماذا حدث.

يستمر الولد في بكائه بعد أن يرتمي بأحضان والده دون أن ينطق بكلمه.

الأم : إنه حاتم ومشاكله التي لا تنتهي، دائما يبحث عن المتاعب، لا أعرف ماذا أصابه لم يكن كذلك أبداً في صغره.

فريد : اهدأ يا خالد إذا كففت عن البكاء سأحضر لك هديتين بدل واحده، ما رأيك ؟

يبدأ الولد في الهدوء رويداً رويداً وتحمله أمه على كتفها وتقبله.

خالد : حسناً يا أبي ولكن لا تطل الغياب هذه المرة وأريدك أن تحضر لي دراجة كبيرة.

فريد : هههه، حسناً يا خالد ولكن طوال فترة غيابي كن مطيعا ولا تغضب والدتك واهتم بمذاكرتك.

الأم : هيا يا فريد ستتأخر عن موعدك، الطريق مزدحم بالخارج وقد اقترب موعد طائرتك.

فريد : ولكن أين حاتم.

الأم : خرج مسرعاً وأغلق الباب خلفه بقوة بالتأكيد سيقابل أصدقائه.

فريد : أنا غير مطمئن على حال حاتم، أصبح كثير التذمر ولم يعد يعجبه شيئ لا أعرف حقا ماذا يرضيه، هداك الله يا بني.

تأتي السيارة التي ستقل السيد فريد إلى المطار ويودع زوجته وابنه خالد قائلاً : حافظوا على سلامة أنفسكم وسأتصل بكم عندما أصل، اهتمي بحاتم فهو في مرحلة صعبة وسأكون على تواصل دوري معكم لأطمئن عليكم جميعاً.

يقبل رأس زوجته وابنه ويغادر.

الأم : في حفظ الله، نراك على خير إن شاء الله.

فريد : دعواتك يا زوجتي الغالية.

وفي نفس الليلة في الواحدة بعد منتصف الليل يدخل حاتم المنزل وعليه آثار الفرح والسرور.

الأم : طبعاً، خرجت واستمعت بيومك وكأن شيئا لم يكن.

حاتم (بلامبالاه) : ماذا تريدين الآن أنا متعب وأريد أن أنام، وفي الواقع أنا لا أريد أن أتشاجر الآن فلندع ذلك للغد.

الأم : تأدب أنت تتحدث مع والدتك هل هكذا ربيناك، أنا ووالدك.

حاتم : عذراً لم أسمع ما تقوليه جيداً، ماذا كنت تقولين ؟ ربيناك أنا ووالدك، وأين هو والدي هذا الذي تتحدثين عنه، أين هو ؟!

أخبريني، هل هو موجود وأنا لا أراه، حسناً سأنادي عليه علّه إذا تحدث سمعته.

يصرخ حاتم منادياً : أبي.....

أين أنت؟.....

هل تسمعني؟.....

أبي.....

حسناً، لم أسمع شيئاً، هل سمعتي أي شئ ؟.

عذرا، أنا ذاهب لأنام.

لم تكن تصدق الأم ما تراه وتسمعه، كانت هذه المرة الأولى التي يتحدث فيها بهذه الطريقة، وحتى نظراته لها كانت مليئة بالتحدي والألم في نفس الوقت، أحست أن دموعه ستنهمر على خديه ولكن في الحقيقة كانت تلك دموعها التي تنهمر على خديها وليست دموع ابنها.

لم تستطع النوم في تلك الليلة، كانت تفكر في كلمات ابنها أحست بألمه، وشعرت أنه على حق، ولكن ما ذنب زوجها إذا كانت ظروف الحياه هي التي أجبرته علي السفر والاغتراب طلباً للرزق.

وهل كان بإمكانه أن يكون بجوار ابنه دائماً.

خرجت من غرفتها وبدأت تتجول في منزلها الفاخر وتتأمله، وتسأل نفسها، ماذا أفعل وكيف أتصرف ؟ لا أكاد أصدق ما يحدث.

كانت تشعر أن ابنها يضيع حقاً، كانت على علم بهبوط مستواه الدراسي، وكانت لا تعرف سببا لذلك، فقط كانت تتمنى أن يكون ذلك أمراً مؤقتاً، لم تكن تدرك أن ابنها فعلاً يمر بمشكلة كبيرة، وقررت أن تستعين بأحد أفراد أسرتها ليساعدها على حل مشكلة ابنها.

وطبعاً كان اختيارها الأول هو أخوها وليد، فقد كان قريباً جداً من حاتم في صغره وكانت بينهما علاقة قوية، قد تكون ضعفت بعض الشئ في هذه الفترة ولكنه بالتأكيد قادر أن يتواصل معه وأن يعيده إلى صوابه.

ذهبت إلى غرفتها وهي تمني نفسها أن يكون هذا هو الحل الأمثل، فعوده زوجها من عمله قبل ستة أشهر على الأقل يعد أمراً مستحيلاً.

ولا يوجد خيار آخر أمامها.

وضعت رأسها على وسادتها ولكن قبل تخلد في النوم إذا بها تسمع بعض الطرقات على باب غرفتها.

الأم : من بالخارج ؟

خالد : هيا يا أمي سنتأخر على المدرسة، إنها السادسة والنصف ! !

بعد أن ذهب خالد وحاتم كل إلى مدرسته ذهبت الأم إلى أخيها وأخبرته بما حدث ليلة الأمس ولاحظ وليد الإرهاق الشديد عليها نتيجة أنها لم تنم ليلة البارحة.

أحس وليد بها وطلب من زوجته أن تجهز لها فطوراً ومكاناً للنوم. ووعدها أنه بعد أن تستيقظ من نومها سيناقشها فيما تريد، فهو لا يفهم تحديداً ماذا تريد أخته منه، وأيضاً لا يستطيع أن يتحدث معها وهي على تلك الحال التي يرثي لها بكل تأكيد.

بعد أن قصت عليه أخته ما سبق من أحداث قرر الخروج للتنزه مع حاتم ومحاولة إخراجه من تلك الحالة السلبية مع وعد لأخته بأنه سيتمكن من إفهامه ظروف والده وأن هذه الظروف كانت أقوى منه ومن عاطفته.

وبعد انتهاء اليوم الدراسي قابل حاتم خاله وذهبا معاً إلى مدينة الألعاب.

كان يوماً ممتعاً... لم يمارس حاتم ووليد حياتهما بهذا الشكل منذ فترات طويلة عندما كان حاتم صغيراً وهاهما اليوم يستعيدان تلك الذكريات الجميلة يعيشان أجواء الطفولة البريئة لحاتم من جديد.

وبعد ان أنهكهما اللعب ذهبا واستلقيا في أحد الحدائق العامة متحدثان عن طفولتيهما.

وبدأ وليد الحديث متحدثاً عن طفولته هو وأخته في ذلك المنزل الصغير وعما كان يعانيه من ضيق الحال فلم يكن باستطاعته الخروج وقتما يشاء، أو إلى أي مكان يشاء وكانت الظروف المادية لوالده على أسوء ما يكون

تلك الظروف التي لم تستطع بسببها والدة حاتم إكمال تعليمها ولم تحصل على شهادتها الجامعيه و.....

قاطعه حاتم قائلاً :

ثم ماذا حدث.....

هل تعاني من أي مشكلة في حياتك... هل تعاني والدتي من أي مشكلة في حياتها.

لم يكن الفقر يوماً مانعاً لسعادتكما... عشتما معا في بيت صغير لربما كان مزدحماً معظم الوقت وربما لم تجدوا يوما عشاءا فاخراً أو مالاً للتنزه والترفيه ولكن لم تشعرا أبداً بالحرمان.

إنني أعيش في هذا البيت الذي يحسدني عليه كل أصدقائي ولكن صدقني أنا في كل يوم أحسدهم آلاف المرات

إنني في بيتي أشعر باليتم وربما تتذكر تلك المقولة التي لاطالما حفظناها في مدارسنا ولاطالما سمعناها كل عام

«ليس اليتيم من انتهى أبواه وخلفاه وحيداً

إنما اليتيم من تلقه أماً تخلت أو أبا مشغولاً»

سأخبرك بشيء ربما لن تصدقه هل تعلم أنني عندما كنت صغيرا وعندما كان يأتي أبي من سفره ويدخل علينا البيت، هل تعرف ماذا كنت أفعل، لقد كنت أمسك بطرف عباءة أمي وأضعها على عيني ظناً مني أنني مختبئاً ولا أحد يراني،هل تعرف ياخالي متى يفعل الأطفال هذه الحركة... سأخبرك.....

عندما يرون شخصاً غريباً عنهم

وعندما يكون في البيت أحرم من كل شيء لا لعب...لا صراخ... مراعاة لوجود هذا الرجل الذي لا تربطني به أي صله اللهم إلا ذلك الاسم الذي يأتي بعد اسمي مباشرة بل أكاد أمنع من الخروج من غرفتي وما السبب ؟؟؟ فقط محافظة علي هدوء ونظافة المكان وحتى لا يشعر ذلك الضيف السخيف بالضيق، أو الانزعاج.

لم أشعر يوماً أن لي أباً كزملائي.

لم أشعر يوماً بوجوده بجواري، أو بأنه ناصحي ومرشدي في حياتي... كيف له ذلك وهو حتى لا يتذكر في أي سنة أدرس ولا يسأل هل نجحت أم رسبت... هل صحتي جيدة أم أنني أعاني من شيء ما...

إنني أكره ذلك الرجل..... أكرهه..... أكرهه

.....

رسالة إلى كل أب :

لا تحرم أسرتك من وجودك بينهم وتذكر دائماً

«حتى تكون في ذاكرة أولادك غداً..... عليك أن تكون في حياتهم اليوم»

استراحة

يقول أحدهم :

حـين أعجبـت بزوجتـي.. كانـت في نظـري كأن الله لم يخلـق مثلهـا في العـالم

ولما خطبتها.. رأيت الكثيرين مثلها

ولما تزوجتها.. رأيت الكثيرين أجمل منها

فلـما مضـت بضعـة أعـوام عـلى زواجنـا رأيـت أن : كلُّ النَسَـاءِ أحْـلَى مِـنْ زَوجَتِـي !

فقال الشيخ : أفأخبرك بما هو أدهى من ذلك وأمرّ ؟!

قال الرجل : بلى

فقـال الشـيخ : ولـو أنـك تزوجـت كل نسـاء العالمـين.. لرأيـت الكلاب الضالـة في شـوارع المناطـق الشـعبية أجمـل مـن كلّ نسـاء العالمـين !! ابتسـم الرجـل ابتسـامة خفيفـة وقـال : لمـاذا تقـول ذلـك؟ فقـال الشـيخ : لأن المشـكلة ليسـت في زوجتـك، المشـكلة أن الإنسـان إذا أوتي قلبـاً طمّاعـاً،

وبصراً زائغاً، وخلا من الحياء من الله فإنه لا يمكن أن يملأ عينه إلا تراب مقبرته.. كما قال صلى الله عليه وسلم : «ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»

يا رجل مشكلتك أنك لا تغضّ بصرك عما حرّم الله أتريد شيئاً ترجع به امرأتك إلى سالف عهدها (أجمل نساء العالم) ؟ قال الرجل: نعم فقال الشيخ : اغضض بصرك

«قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ».

القصة التاسعة

سر النار

«النجدة.... النجدة....»

«حريق.... حريق.... حرييييييييق»

ذعر كبير في أرجاء المدرسة يسري بين الطلاب والعاملين وأعضاء هيئة التدريس بالمدرسة، فبالرغم من تمكنهم من السيطرة على هذا الحريق المحدود الذي نشب في أحد الأشجار المزروعة داخل حديقة المدرسة، ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في أنها ليست المرة الأولى التي يحدث فيها هذا الأمر !!!!!

فمنذ عام تقريباً كانت الأمور تسير بشكل طبيعي داخل أركان المدرسة عندما لاحظ أحد المدرسين اشتعال النار بأحد صناديق القمامة وهو مالم يكن معتاداً على الإطلاق ومع مرور الوقت بدأ الأمر يتزايد تدريجياً ويلاحظ احتراق الأوراق والكشاكيل، بل وتطور الأمر في أكثر من مرة لاحتراق أحد حقائب التلاميذ أو الدفاتر الخاصة بالعمل، مما يؤكد أن هذه الحرائق متعمدة ولا يمكن أن تكون بمحض الصدفة.!!!

كان مدير المدرسة الأستاذ فريد يحاول جاهداً الوصول للفاعل قبل أن يصاب أحد بمكروه فالأمر لا يحتمل أكثر من ذلك، وكانت الشكوك تحيط بثلاثة من المدرسين، الأستاذ سامح المعروف بعصبيته وتجهمه طوال النهار وكرهه لهذه المدرسة ولإدارتها التي دائماً ما وصفها بالرجعية والتخلف.

أما الأستاذ كريم فكان طيباً متسامحاً مع الجميع يشهد له كل من عرفه بالأدب وحسن الخلق ولكنه في الفتره الأخيره كان دائما ما يطلب من المدير بعض المساعدات الماليه نظراً لظروف طارئه

ألمت به وبأسرته الصغيره، وهو ما كان يقابل دائماً بالسخرية والاستهزاء «هذه مدرسة استثمارية وليست بيتاً للمال».

أما الأستاذة سمر فهدؤها المبالغ فيه واللا مبالاة التي تعيش فيها وعدم انتظامها في المواعيد وشكوي الطلاب المستمر من سوء المعاملة، حتى عندما كان يواجهها بذلك كانت لا تلقي بالاً قائلة «افعل ما بدا لك»، وهي تعلم جيداً أنه لن يستطيع إيذائها كونها ابنة السيد حازم المنوفي صاحب المدرسة والممول الرئيسي لها.

الشهور تتوالى ولا جديد يذكر، نشوب الحرائق مستمر، الأمر الذي بدأ يلقي صداه داخل أرجاء المدينة والذي دفع بأولياء الأمور لتحويل أوراق أبنائهم إلى مدارس أخرى مما أثر على الموارد المالية للمدرسة فضلاً عن السمعة السيئة التي لحقت بالمدرسة وبالعاملين بها.

السيد حازم منفعلاً:

«أنت غير مسؤول كيف لأمر خطير مثل هذا أن يكون في مدرستي وأنا آخر من يعلم».

السيد فريد: «أنا.. كنت... ولكن..».

السيد حازم : «ماذا هل ستخبرني بأنك لم تكن تعلم بهذا الأمر أيضا».

السيد فريد : «لا، ولكني كنت أنتظر فقط الوصول للفاعل ثم كنت..».

السيد حازم مقاطعاً: «لا أريد سماع المزيد من الهراء اسمع يا فريد انت تعلم مدى احترامي لك وتقديري لمكانتك العلمية،

ولكن هذا الأمر لا يمكن السكوت عليه وإن كنت غير قادر على إدارة الأمور بشكل جيد فعليك بالتقاعد والحفاظ على تاريخك، وإلا فلن يرضيك أبداً ما سأفعله».

خرج السيد فريد من هذه المقابله وكله عزم على إيجاد الفاعل الذي تسبب في إهانته أمام صديقه بهذا الشكل وذهب مسرعاً إلى أحد المتخصصين في الأجهزة الاكترونية وتركيب كاميرات المراقبة في الأماكن العامة والمصالح الخاصة وغيرها.

في ظرف أسبوع واحد كان كل شبر في المدرسة مراقب بتلك الكاميرات التي علقت بشكل سري حتى لا يعلم أحد بأمرها وقد تعمد المدير ذلك حتى يباغت الفاعل وكان يأمل في أن يمسكه متلبساً حتى يرتاح وتهدأ الأمور في المدرسة.

مر أسبوع آخر دون جديد يذكر، تُرى هل علم الفاعل بأمر الكاميرات؟ هل يخطط لشئ أكبر من ذلك؟، السيد فريد كاد أن يجن من كثرة التفكير في هذا الأمر ولكنه كان متماسكاً أمام الجميع محاولاً أن تبقى الأمور طبيعية قدر الإمكان وإلا شك الجميع في أن المدير يخطط لشئ ما.

وجاءت اللحظة التي انتظرها بفارغ الصبر حريق ينشب في حديقة المدرسة، اتصال من السيد حازم، ووعد قاطع من السيد فريد بأن الفاعل سيعرف بنهاية هذا اليوم.

عاد السيد فريد مسرعاً إلى بيته حاملاً معه تلك الشرائط التي سجل عليها كل أحداث اليوم، وبمجرد دخوله لمنزله جلس أمام التلفاز وقام بتشغيل هذه الشرائط واحداً تلو الآخر وهنا كانت المفاجأه الصاعقة....

لم يكن المدير يصدق نفسه من هول هذه المفاجأة هل يعقل أن يكون هو الفاعل !

بدأ يعيد الشرائط مراراً وتكراراً ويشغل الشريط تلو الآخر وهو يأمل في أن يرى شيئاً جديداً، أو حتى فاعلاً آخر مشتركاً معه ولكنها الحقيقة المرة التي عليه مواجهتها.

في صباح اليوم التالي كان السيد فريد والسيد حازم مجتمعان معاً في مكتب الأخير، في البداية لم يصدق السيد حازم كلام السيد فريد ونعته بالعجوز الخرف الذي جن عقله، ولكن بعد رؤيته للشريط المسجل وتيقنه بأنه لا يكذب عليه وبأنه فعلاً قد تمكن من الوصول للفاعل الحقيقي، تأسف له وطلب منه أن يظل الأمر سراً بينهما ووعده بأن تحل هذه المشكلة في أقرب فرصة ممكنه، وطلب منه أن يعود لممارسة عمله بالمدرسة، وهنا كانت المفاجأة الثانية من السيد فريد معلناً استقالته من إدارة المدرسة لما لاقاه من إهانة وتوجيه إتهامات لا أساس لها من الصحة.

حاول السيد حازم مراراً وتكراراً أن يثنيه عن قراره لكن دون جدوى، وتقديراً من السيد فريد لهذه الأزمة التي يمر بها السيد حازم وافق علي إدارة شؤون المدرسة حتى تحل هذه المشكلة ثم بعدها سيقدم استقالته فوراً وبلا رجعة.

ذهب السيد حازم لزيارة أخته السيده حنان كانت شابة في العقد الثالث من عمرها، متزوجه لكنها دائمة الشجار مع زوجها وتعيش في منزل مستقل عنه، ولها ولد ولكنه لم يكن يعيش معها في البيت.

سألها عن أحوالها وأحوال ابنها ولكنها كانت لا تعرف شيئاً عنه فهو تارة في بيت أبيه، وتارة في بيتها وتارة عند أخواله، وتارة عند أعمامه وهكذا يفعل ما بدا له.

وعندما سألها عن دراسته وأن مدير المدرسة قد أرسل في طلبها أكثر من مرة نظراً لتدهور مستوى ابنها الدراسي كان الرد منها «وماذا تنتظر مني أن أفعل هذه ليست مسؤوليتي، فلو كان له أب مسؤول قادر على تربيته ورعايته لما حدث ذلك الأمر».

انزعج السيد حازم من هذا الرد وقال منفعلاً «وما ذنب الولد الصغير في مشاكلك أنت وزوجك، على أي حال لقد جئتك اليوم محذراً، ابنك يوشك أن يقتل نفسه وإن لم تتدخلي أنت وزوجك فاستعدي لاستقبال خبر وفاته عما قريب» !!!!!!

ذهبت السيدة حنان إلى عيادة زوجها الدكتور هشام وأخبرته بما حدث فهرولا مسرعين إلى المدرسة يسألان عن ابنهما حسن الذي أقبل عليهما بفرح كبير ثم انفرد المدير بالدكتور هشام قائلاً:

«لعلك قد علمت بأمر الحرائق التي تنشب في المدرسة من وقت لآخر دكتور هشام.»

الدكتور هشام : «نعم ولكن هل أصاب الولد مكروه بسببها».

السيد فريد : «لا، الحمد لله لم يصب أحد بمكروه والخسائر كلها مادية بسيطة، ولكن هذه ليست المشكلة، المشكلة الحقيقية تكمن في الفاعل.»

الدكتور هشام : «وما علاقتي أنا بذلك لماذا لم تبلغ الشرطة ؟!».

السيد فريد : «كان بإمكاني أن أفعل ذلك فعلاً ولكن هل تدري ماذا ستكون التيجة».

الدكتور هشام : «بالتأكيد سيلقون هذا المجرم بالسجن».

السيد فريد : «هذا صحيح، ولكن هنالك فارق بسيط؛ لأن الفاعل لم يبلغ بعد العاشرة من عمره، أتدري من هو ؟».

الدكتور هشام : «وما أدراني أنا لا أريد حتى أن أعرف من هو ولا يهمني إن كان رجلاً أو طفلاً أو حتى رضيعاً المهم أن أحمي ابني وفقط».

السيد فريد : «وهذا ما أتمناه بالفعل اذهب واحمي ابنك من نفسه يا.... دكتور».

الدكتور هشام : «هل تقصد أن ابني هو الذي..».

السيد فريد : «أعتقد أن الأمور الآن لا تحتاج إلى توضيح اذهب وأنقذ ما يمكن إنقاذه».

خرج الدكتور هشام من عنده والحسرة على وجهه، لا يكاد يصدق ما قيل له منذ قليل، هل يعقل ذلك، حسن ذلك الطفل البرئ هو الذي كان يقوم بإشعال الحرائق في المدرسة، ولكن لماذا، ما الذي يدعوه لفعل ذلك؟ هل تعرض لأذي من المدرسين، أو من أحد زملائه هل لخلافي مع والدته دور في ذلك، هل.... هل..... هل.....

أسئله كثيره تدور في ذهنه لم يقطعها سوى صوت حسن الرقيق «هيا يا أبي لنعود إلى البيت».

نظر هشام إلى ابنه الصغير فوجده ممسكاً بيد أمه بيسراه ويمد يمناه ليمسك بيد أبيه، أقبل عليه الوالد وقبله على جبينه وضمه إليه وعاد هو وابنه وزوجته إلى بيت الزوجيه الذي كان مغلقاً منذ شهور، ولاحظ الأب تلك الفرحة العارمة على وجه ابنه الذي كان بدأ يحل عليه التعب ثم نام.

بدأ الدكتور هشام يتناقش مع زوجته بشأن ابنهما حسن وشرح لها الموقف كاملاً وطلب منها أن تبقى الأمور هادئة بينهما وأن يرجئا مشاكلهما قليلاً حتى تحل مشكلة الولد، وأخبرها بأنه يعتقد أن الولد قد تعرض لمشكلة نفسية وبأنه سيذهب إلى زميل له ليتأكد من ذلك.

وبالفعل في صباح اليوم التالي كان هشام مع صديقه الدكتور سامي وأخبره بما يحدث لابنه وبأنه قلق عليه من تدهور حالته النفسية خاصة أن مستواه الدراسي أصبح يرثى له.

فأخبره الدكتور سامي بأنه يريد مقابلته في أقرب فرصة وأنه عليه أن يهدأ وإن شاء الله ستسير الأمور بأفضل مما يظن.

في اليوم التالي كان الدكتور سامي جالساً مع حسن في بيت الأخير في البداية تكلم مع والديه عن بداية وقت حدوث المشكلة وتوقعاتهما لسببها، وإن كانا قد فكرا في حل لهذه المشكلة أم لا، وأسئلة أخرى تتعلق بطبيعة حسن وماذا يحب وماذا يكره وغير ذلك من الأسئلة التي كان هدفها جمع أكبر كمية من المعلومات حول حسن وطبيعته وصفاته.

لاحظ الدكتور سامي بأن بداية حدوث المشكلة كان منذ أن ترك والداه البيت وعاش كل منهم في بيت منفصلاً عن الآخر، وأنهما في الفترة التي سبقت ذلك الأمر كانا دائما الشجار أمام الولد، ولكن ما علاقة ذلك كله بالنار التي تركت آثارها في كل أرجاء المدرسة، هذا ما لم يجد له تفسيراً حتى الآن.

بدأ يتحدث مع حسن عن دراسته وعن هواياته، وكان يلاحظ أنه كل فترة يسأل بشكل متكرر عن والديه، ولا يهدأ حتى يدخلا إليه معا، ثم يعود ليكمل حديثه مع الطبيب،ولكن هذه المره حدث شيئ آخر.

دخلت هذه المره أمه وحدها إليه وأخبرته بأن والده ذهب إلى عيادته وأنه ليس موجوداً الآن بالمنزل، فلاحظ الطبيب تغير ملامحه واندفاعه باتجاه بعض الأوراق على المكتب واستخدم عود الكبريت ليشعل بها النار وجلس بجانبها يبكي في صمت.!!

استأذن الدكتور سامي في الرحيل وأخبرها أنه سيأتي غداً في نفس الموعد وطلب منها أن تخبر زوجها بضرورة وجوده غداً، وانصرف.

في تلك الليلة لم يستطع الدكتور سامي أن ينام من كثره التفكير في حسن وحالته، محاولاً أن يجد الرابط بين تلك الأحداث، شجار والديه وانفصالهما شبه الدائم، سؤاله المتكرر عنهما، اندفاعه لإشعال الأوراق عند علمه بغياب والده، بكاؤه في صمت.

يعلم الآن دكتور سامي بأن حسن لا يتلذذ بالنار كما كان يعتقد في نفسه من قبل، وبكاؤه بعد إشعال الأوراق خير دليل على ذلك،

ولكن ما السبب في إشعال النار، هل يعتقد أن النار ستعيد له والده،هل يعتقد أن النار من الممكن أن.....

لحظة.. أجل..لقد فهمت الآن ما يحدث بالضبط وبدأ وقت العمل الحقيقي.

اجتمع الدكتور سامي بزملائه الأطباء النفسيين في المشفى قبل الذهاب إلى منزل حسن وأخبرهم بما يظنه، فقد كان يعتقد أن الشجار الذي كان دائم الحدوث بين والديه كان متمثلا له ذهنه في صورة نار مشتعلة، وبعد انفصالهما، لم يعد يرى تلك النار في خياله، وبالتالي بدأ يشعلها حوله في كل مكان ظنا منه بأن وجودهما مرتبط بوجود النار، وأنه لن يراهما إلا في أماكن اشتعال النيران.

علق الدكتور خالد قائلاً: «وأنت تريد طبعاً أن تتخلص من النار الداخلية وترى أن عودة الأمور بين أبويه إلى سابق عهدها ليس حلاً كافياً»

تابع الدكتور سامي كلامه : «بالضبط، هذا تماماً ما أردته وأريد منكم مساعدتي في إيجاد حلول.»

قال الدكتور خالد : «حسناً، كما نعلم جميعاً فالنار تطفأها الماء فلماذا لا توجهه مثلا للذهاب إلى الشواطئ أو لممارسة السباحة بالتأكيد هذا قد يخفف الكثير من ألمه»

علق الدكتور سامي: «الفكرة جيدة، ولكني أعتقد أنها لن تكون صائبة في حالته؛ لأنه مهما كانت قوة الماء الخارجية فلا أعتقد أبدا أنها ستطفئ النار الداخلية، وحتى لو حدث فقد يؤدي ذلك إلى ارتباط نفسي بالماء، ونصبح وكأننا ندور في حلقة مفرغة»

نظـر الدكتـور سـامي إلى زميلـه الدكتـور مـازن الـذي كان يبـدوا شـارد الذهـن، فسـأله فيـم يفكـر فأجابـه : «أرى أنـه علينـا أن نسـاعده في إخـراج هـذه النـار مـن الداخـل إلى الخـارج»

لاحـظ الدكتـور مـازن علامـات الدهشـه والاسـتغراب علـى الحاضرين فتابـع كلامـه قائـلاً: «مـن وجهـة نظـري وجـود النـار داخلـه لا يمكننـا التعامـل معـه أمـا إذا أصبحـت خارجـه كان سـهلا علينـا أن نشـكلها ونغيرهـا كيفمـا نشـاء»

علـق الدكتـور سـامي قائـلاً: «يـا دكتـور مـازن، أنـت لازلـت كمـا عهدنـاك فيلسـوفا واعيـاً قـادراً علـى صياغـة الكلمـات، وحديثـك السـابق يصعـب علـى أمثالنـا فهمـه، فأرجـو أن توضـح لنـا مـرادك.»

انفجرت الغرفة بالضحك ثم عاد الهدوء للغرفة مرة أخرى

تابـع الدكتـور مـازن كلامـه قائـلا: «مـا أقصـده أنـه عليـه أن يخـرج مـا بداخلـه في شـئ ملمـوس وليكـن مثـلاً رسمـة في ورقـه، نعـم أرى أن نسـتعين بأحـد محـترفي الرسـم لتعليمـه رسـم النـار بطـرق عـده سـواء علـى الـورق، أو علـى الزجـاج أو غـير ذلـك مـن فنـون الرسـم وبتشـكيلها أمامـه سـتنتقل النـار مـن الداخـل إلى الخـارج، وبهـذه الطريقـة أيضـا نضمـن خروجهـا بشـكل آمـن دون حرائـق أو مـا شـابه.»

اقتنـع الدكتـور سـامي بهـذا الاقـتراح وشـكره عليـه وبالفعـل تم عقـد جلسـه مـع والـد حسـن وأخـبره بـأن هـذا هـو الحـل الوحيـد لهـذه المشـكله مـن وجهـه نظـره، فشـكره وأخـبره بأنـه سـيبدأ التنفيـذ علـى الفـور.

وبعد عام:

السيد فريد: «الآن، أحب أن أشكر زملائي أعضاء هيئه التدريس والعاملين بالمدرسه، وها أنا اليوم أودعكم وأعلن تقاعدي عن العمل، ولا أجمل من أن أتقاعد بعد أن أقوم بتكريم أبنائي المتفوقين في شتى المجالات دراسياً وثقافياً وفنياً وخلقياً، ونبدأ الآن بتسليم الجوائز.»

كان من بين المكرمين الطالب حسن ولكنه تميز عن زملائه؛ لأنه تفوق في مجالين فقد تفوق دراسياً وكان من الأوائل، وحصل على المركز الأول في مسابقة الرسم على مستوى المدرسة عن لوحته:

«السلام الداخلي»

حيث رسم غابة كبيرة محترقة والنار قد التهمت كل شئ إلا عش صغير فوق شجرة عليه عصفور يطعم أبناءه في هدوء وسلام.

استراحة

وقع شجار بين زوجين

فجلست الزوجة تبكي

وفي هذه الأثناء طرق أهلها الباب، وقد أتوا لزيارتها

...فرأوا عينيها الدامعة فسألوها عما بها ؟ ؟

فقالت:

تصوروا أني جلست أذكركم فبكيت

وتمنيت لو أني أراكم، فسبحان الله

الذي جمعنى بكم الآن !

كان الزوج يسمع زوجته وهي

(تبرّر) بكاءها لأهلها

فعظمت في عينه، وفرح لحفظها

أسرار الزوجية

واعتذر لها وخفف عنها

هذه هي المرأة العاقلة.. !

هذا هوا الحب والتفاهم لمن يريد حياة سعيدة

القصة العاشرة

الشيطان يعظ

د/ فريد : مرحبا يا سيادة اللواء لقد شرفنا بتلك الزيارة «لعيادتنا» المتواضعة.

حازم : لازلت كما أنت منذ أيام المدرسة تتمتع بلياقة عالية وأسلوب جذاب ومنمق.. ولكن لا أنصحك بممارسة ألاعيبك معي فليس معي أصلاً ثمن الاستشارة بالإضافة إلى ذلك أنا لا أحب أن يناديني أحدهم كما وصفتني باللواء فقد كانت مرحلة في حياتي وأنا الآن رجل مدني.. مدني وحسب.

يضحك فريد وحازم بصوت مرتفع ويتوجه فريد إلى الخارج ليتأكد من خلو العيادة من المرضى ويقوم بإغلاق الباب من الداخل.

فريد : لازلت كما أنت يا حازم اسم على مسمى لا تقبل حتى المزاح وتتجنب المجاملات البسيطة ولكن صدقني أشعر بسعادة كبيرة لرؤيتك اليوم... ما أخبارك وأخبار أسرتك.. هل انهي عمر دراسته الثانوية ؟

حازم : يااااه أخبارك قديمة جداً يا فريد.... لقد حصل عمر على شهادة البكالريوس في الهندسة المدنية، وها هو يتأهب للسفر إلى الخارج باحثاً عن فرصة عمل مناسبة.

فريد : ما شاء الله.وفقه الله وأعانه وكيف حال والديك لقد سمعت من بعض المقربين أن صحة والدك ليست على ما يرام.

حازم : الحمد لله على كل حال... لقد كانت أزمة كبيرة ولكنه الآن ينعم بأتم الصحة والعافية.

فريد : لقد اشتقت لحديثنا معاً وكنت أنتوي زيارتك في أقرب فرصة ولكن كما تعلم بعد أن كبر الأولاد صرنا ننشغل بهم أكثر من ذي قبل بل وأصبحنا أكثر قلقا عليهم وعلى مستقبلهم في ظل الظروف المعيشية الصعبة.

حازم : دع الخلق للخالق.. صدقني يا فريد.. فقط اجتهد وابذل ما في وسعك واعلم أن الله معك وهو هاديك ومرشدك.

فريد : آمنت بالله.

حازم : هل انتهيت من عملك اليوم.. أرى أنك قد أغلقت الباب.

فريد : كنت على وشك الرحيل فكما تعلم مع دخول فصل الشتاء يصبح العمل صعباً ويحاول الجميع تأجيل أعمالهم.

حازم : وهل سيصبر المريض على ألمه ؟

فريد : ربما، ولكن دعك من هذا الآن، لا أعتقد أنك هنا في زيارة عادية وقدومك إليّ في هذا التوقيت بالذات وفي هذه الساعة المتأخرة من الليل على غير عادتك يزيد من شكوكي حول حالتك النفسية... يا إلهي.. هل قررت أخيراً الذهاب إلى الطبيب النفسي... ألست أنت من كنت تصفني بالجنون هل نسيت ما كنت تقوله عليّ سابقاً..... هههههههه.....ها أنت الآن..... هههههههههه.....لا أصدق عيناي.....هههههه.

حازم : ألن تتخلى عن طفولتك أبداً، حسناً يا فريد.. أعترف بأني كنت مخطئاً في ذلك والآن هل سنتحدث، أم أعود من حيث أتيت ؟

فريد : كنت امزح معك يا حازم.. ما بك ؟ لا تأخذ كلامي دائماً على محمل الجد هكذا.. لا تقلق يا حازم كل شيء بخير.. ولكن دعنا أولاً نخرج من هنا وسأدعوك لتناول العشاء في منزلنا الليلة ستسعد سلمى كثيراً برؤيتك... أم أنك لا تريد تناول الطعام معنا ؟

حازم : لا داعي لكل هذا يا فريد لا أريد أن أكون ضيفا ثقيلا أنا حتى لم أخبرك بمجيئي سابقاً.

فريد : لا تقل ذلك سأتصل بها هاتفياً وأعلمها بالأمر... هيا.

وبعد ليلة سعيدة استعادا فيها ذكريات طفولتيهما وتبادلا الحديث حول تلك السنوات الماضية التي لم يتقابلا فيها إلا قليلا وبعد أن تناولا العشاء دخلا إلى حجرة الجلوس وبادر فريد بالسؤال قائلاً :

حسنا يا حازم لا أرى أنك تعاني من شيء أريد أن أطمئن عليك ما سر زيارتك لي الليلة؟!!

حازم : لقد تعبت يا فريد.

فريد : من ماذا ؟

حازم : أشعر باكتئاب حاد.. وما يحيرني أنني لا أجد سبباً واضحاً، فحياتي تسير على ما يرام وحققت نجاحاً لا بأس به أبداً ولكن لا أدري لماذا هذا الشعور الخانق.

فريد : اذا كان الشيب يزحف على رأس الإنسان بفعل الزمن والأهوال التي يلاقيها فيه فإني أعتقد أن كثيراً من الشعر الأبيض في رأسي يرجع بالأساس لهول ما سمعت من مرضى الاكتئاب.

حازم : لو كان الاكتئاب رجلاً لقتلته.

فريد : اكره مرض الاكتئاب بنفس القدر الذي أُحب به مرضى الاكتئاب لأنني أرى أنهم من أصفى الناس وأنقاهم

إنه مرض الأذكياء والمثقفين ولا يصاب به إلا هؤلاء الاشخاص الذين لم يعرف الشر طريقاً إلى نفوسهم.

حازم : حياة الإنسان تبدأ بالبكاء وتنتهي أيضا بالبكاء... فهل الاكتئاب قدر محتوم على الإنسان؟!!

فريد : عليك أن تعلم يا حازم أن الحياة قائمة علي الثنائية فلم يُخلق شيء إلا وخُلق نقيضه معه ومعرفتنا بالشيء لا تكون إلا بمعرفه النقيض، فحالة وجدانية معينة لا يكون لها معنى إلا بوجود حالة وجدانية أخرى في الاتجاه المقابل والقيم السامية لا معني لها إلا بوجود قيم مغايرة تماماً....

فالخير يقابله الشر والصدق يقابله الكذب والحب يقابله الكراهية والنور يقابله الظلام ولهذا فإن المقابل الطبيعي للاكتئاب هو السعادة.

حازم : لم أفهم ما تريد قوله !!!

فريد : هل بحثت يوماً عن سر السعادة.. هل تستطيع أن تعطيني معني للسعادة ؟!!

حازم : ربما تكون السعادة في فهمك للأمور من حولك وشعورك بالراحة والأمان تجاه الحياة.

فريد : وكيف تتفهم الأمور من حولك وأنت غير قادر على تفهم نفسك.. أليست نفسك أولى بالدراسة والفهم والتحليل.

حازم : ومن أخبرك أنني لا أعرف نفسي، أنا أعرفها حق المعرفة أعرف ماذا يسعدني وماذا يؤلمني... أعرف...

فريد : أنت مخطئ في اعتقادك يا حازم ربما أنت تعرف جزءاً من نفسك، ولكنه جزء واحد من جزئين، أو دعنا نقول شخص واحد من شخصين يعيشان في جسد واحد.

حازم : ماذا تقصد ؟! هل تريد القول أنني أعاني انفصاماً في الشخصية، أو ربما أعاني من هيستيريا بحيث يظهر أحدهم في منتصف الليل وأكون وقتها غائباً عن الوعي... ما هذه الخرافات يا فريد !!!

فريد : سأتجاوز عما قلته الآن فهو لا يهمني، ولكني أود أن أشير إلى أن ما قلته من وصف لأمراض نفسية هي حقاً نماذج لأشخاص تعيش بيننا وتتألم بألم لا يدركه إلا من كابده يوماً.. ولكني قصدت أن أقول أنه بداخل كل منا شخصان أحدهما طيب والآخر شرير.

حازم : وماذا بعد ؟

فريد : إن الإنسان الطيب المسالم يفسد عليه حياته ذلك الإنسان الشرير الذي يتلذذ بتعذيب البشر وإصابتهم بالإحباط والألم والاكتئاب.

حـازم : إذا كان الأمـر كذلـك فلمـاذا لا ننتبـه لـه، ولـماذا لا يتمكـن الطيـب مـن إيقـاف الشـرير، أو حتـى القضـاء عليـه نهائيـاً.

فريـد : إنهـا حـرب متكافئـة.. ولا سـبيل إلا بـأن يعيشـا معـاً. ولكـن الأمـر يرجـع إليـك، فإمـا أن تسـمح للشـرير بـأن يبـث أفـكاره وتتركـه ينفـذ خططـه للقضـاء عليـك، أو أن تجعـل الطيـب متأهبـاً حتـى إذا مـا حـاول الشـرير المهاجمـة كان الدفـاع جاهـزا.

حـازم : لمـاذا تشـعرني أنـني في معركـة حربيـة يـا فريـد ؟!!. أعتقـد أن الأمـر أبسـط مـن ذلـك بكثـير.

فريـد : لا يـا حـازم.... ربمـا حتـى لم أسـتطيع أن أعـبر عـن ذلـك بالشـكل الأمثـل.. الأمـر أكـبر مـن ذلـك بكثـير.

حازم : وكيف لي أن أدير هذه المعركة ؟

فريـد : سأسـألك سـؤالاً وأظـن أنـك سـتكون قـادراً علـى إجابتـه بسـهوله.. إذا قامـت الحـرب بيننـا وبـين أي دولـة أخـرى وكنـت أنـت قائـد الجيـش وتعلـم جيـداً أن الأمـور متكافئـة بـل ربمـا يتفـوق ذلـك العـدو بمعداتـه وأسـلحته.. كيـف سـتدير هـذه المعركـة ؟

حـازم : حسـناً... البدايـة الصحيحـة في مثـل هـذا الظـرف الصعـب هـي أن أتعـرف جيـداً علـى خططـه وأسـلحته حتـى إذا مـا بـدأ بالهجـوم وأنـا أعـرف مـا ينتويـه كنـت مسـتعداً لذلـك ووقتهـا سـيبدو الأمر وكأنه لم يكن.

بالمناسـبة إنهـا نفـس الطريقـة الـتي يفكـر بهـا اليابانيـون وهـم الذين يعيشـون في منطقـة جغرافيـة أشـبه بسـاحة الحـرب.. ولكنهـا حـرب

البقـاء في بيئـة تحـوم حولهـا المخاطـر الطبيعيـة مـن براكـين وزلازل وفيضانـات ولكنهـم بتوقعهـم واسـتعدادهم لهـذه الكـوارث الطبيعيـة؛ ولأنهـم يعلمـون تمامـاً أنهـم غـير قادرين علـي منعها من الحـدوث فإنهم يسـتعدون لهـا سـواء بجـودة البنـاء أو بتفـادي المواجهـة أو غـير ذلـك.

فريـد : ممتـاز.... إذا فأنـت تريـد القـول أن البدايـة تكـون بمعرفـة خطتـه، ومـن ثـم تفسـدها عليـه.. أليـس كذلـك؟

حازم : بالظبط

فريـد : هـذا مـا أردت الوصـول إليـه، في الحقيقـة إن ذلك الشـخص الشـرير لـه خطـط واضحـة ويمارسـها معنـا يوميـاً ومـا علينـا إلا أن نكـون متأهبـين لهـا.

حـازم : لقـد فهمـت مـا تصبـوا إليـه..... إنـني أشـعر بحمـاس كبـير لفهمـي لهـذه المسـألة، ولكـن هـل تسـتطيع أن تشـرح لـي هـذه الخطـط الـتي تتحـدث عنهـا.

فريـد : علـي الرحـب والسـعة، فقـط مـا عليـك سـوى تنـاول كـوب الشـاي والإنصـات في حديثـي لعلـك تجـد ضالتـك.

حازم : كلِّي آذان مصغية.

فريـد : أحـب دائمـاً أن أطلـق علـى هـذه الخطـط الخبيثـة اسـم» المنـاورة» وربمـا تسـميتي لهـا بهـذا الاسـم يرجـع لشـعوري الدائـم بـأن الأمـر فعـلاً أشـبه بالمعركـة.

حازم : فلنبدأ إذا بالمناورة الأولى.

فريد : المناورة الأولى هي مناورة» صحيح.... ولكن»

تبدأ هذه المناورة بأن يقوم الشرير بتوفير حافز للطيب بأنه في ورطة وأنه يريد مساعدته، ومتى يبدأ الطيب في عرض الحلول يبدأ هو في تكسير الحل واحدا تلو الآخر، فيتركه الطيب مستنفرا منه، وبالتالي يحصل هو على ما يريده وهو أنه اصبح مستاءً وربما أدى به ذلك إلى الإكتئاب وإليك ذلك المثال.....

{ الشرير : أراك مبتسماً اليوم.

الطيب : صباح الخير.

الشرير : ومن أين سيأتي الخير.

الطيب «بحسن نية» : ماذا حل بك ؟

الشرير : ومن يكون غيره إنه رئيس العمل.

الطيب : وماذا به... إنه رجل جيد.. هل أزعجك في شيء ؟

الشرير : ربما يبدوا جيداً ولكن ما نراه منه لا يعبر عن ذلك، إنه حتى لا يريد أن يسمعنا.

الطيب : حسناً لماذا لا تخبره بأنك تريد الحديث معه ؟

الشرير : كلامك صحيح.... ولكن ألا تراه مشغولاً طوال اليوم؟ انظر حتى إلى تلك الورقة المعلقة على الباب ومكتوب عليها ممنوع الدخول.

الطيب : حسناً لماذا لا تطلب منه أخذ ميعاد مسبق ؟

الشرير : كلامك صحيح.... ولكن إذا حدث ذلك سوف أجده يقلب في أوراق مكتبه متظاهراً بأنه لا يملك الوقت الكافي طالباً مني أن أنهى حديثي سريعاً.

الطيب : أنت محق. }

النتيجة اكتئاب

حازم : كلامك رائع يا فريد هذا بالفعل يحدث معي كل يوم بطريقة أو بأخري سواء مع زوجتي أو أولادي أو حتى مع الجيران والأصدقاء.. هيا أخبرني بالمزيد.

فريد : المناورة الثانية هي مناورة «لو أني فعلت.... لكانت الحياة أفضل»

في هذه المناورة يحاول ذلك الشرير إلقاء اللوم على الطيب وعلى قرارته التي اتخذها رغم أنهما في الحقيقة اتخذاها معاً ولكنه يحاول دائما أن يبرر أنه على الصواب دائماً وأن الطيب هو المخطئ.. بالأحرى هو يبحث عن شماعة يعلق عليها أي خطأ، أو تقصير.

فيبدأ الطيب بلوم نفسه بشدة ثم يحملها ما لا تطيقه ثم ينزوي حزيناً ثم يصير..... مكتئباً

حازم : كلامك صحيح.... ولكن...

فريد : أرى أنك ستبدأ باستعمال المناورة الأولى معي .....

هههههههههههههه

يضحك حازم وفريد ويتابع حازم كلامه قائلاً :

لم أقصد ذلك يا فريد... فقط كنت أود القول أنه في حياتنا كثيراً ما نتخذ قرارات بناء على ظروف لا دخل لنا بها.

فريد : أنت من توهم نفسك بذلك يا حازم فكل منا «وقت اتخاذه لقرار ما»، في لحظة شعر بأن هذا هو القرار الأمثل.. إنه فقط لا يريد أن يتحمل مسؤولية هذا القرار.

حازم : ربما... وآسف لمقاطعة حديثك.. هيا تابع.

فريد : المناورة الثالثة هي مناورة «الضجيج»

حيث يقوم الشرير بخلق حالة من الصراع لا فائدة منه علي الإطلاق موهماً الطيب بأنه على خطأ كبير ويبدأ في استفزازه لينتقل بعدها لمجاراته، فإذا حدث ذلك خرج الطيب من بيته وأصبح يحارب في معركة غير متكافئة ويبدأ بتبادل الاتهامات فتكون النتيجة ماذا؟

الشعور بارتفاع درجة الحرارة..... ثم صداع رهيب..... ثم..... اكتئاب.

حازم : من الواضح أنك طبيب ماهر يا فريد.

فريد : أنت لم تشاهد شيئاً بعد.

حازم : حسناً..... أرني ما عندك.

فريد : المناورة الرابعة.. تسمى مناورة «مصيبة مقابل مصيبة»

وسأشرحها لك بهذا المثال...

{الطيب : لا أعرف هل سأجد عملاً بعد أن أنهي دراستي أم لا؟ ..... { مصيبة }

الشرير : وحتى إذا وجدت العمل فهل ستكون مؤهلاً له؟ .... { مصيبة }

الطيب : أنا أبحث فقط عن عمل يوفر دخلاً ثابتاً .... { مصيبة }

الشرير : لقد بدأت الشركات تغلق أبوابها والناس تحولت إلى عاطلين عن العمل..... { مصيبة }

الطيب : حسناً هل سأتمكن من توفير نفقات الزواج؟..... {مصيبة}

الشرير : حتى إذا وفرتها، فلن تجد أصلاً زوجة صالحة في هذا الزمن الذي نعيش فيه..... { مصيبة }

الطيب : هل سأتمكن من النجاح هذا العام أصلاً ؟..... ..... { مصيبة }

الشرير : حتى إذا نجحت فلن تتمكن من الاستفادة من شهادتك..... { مصيبة }

ويستمر الحوار هكذا.. «مصيبة مقابل مصيبة» الطيب يضع مصيبة والشرير يقابلها بمصيبة أكبر

ثم ينتهي الحوار والنتيجة..... خوف وتشاؤم..... ثم.....اكتئاب.

حـازم : أشـعر بتحسـن كبـير بعـد سماعـي لكلامـك..... بالفعـل علينـا أن نعـرف عدونـا ومـن ثـم نبـدأ في مناورتـه

فريد : المناورة التالية هي مناورة «ماضي محبط ومستقبل مقلق»

حازم : وماذا تقصد بذلك ؟!

فريـد : كثـيراً مـا يحـاول الطيـب أن ينعـم ببعـض الهـدوء والسـعادة في حاضـره وهنـا تبـدأ هـذه المنـاورة الخبيثـة فالشـرير يعلـم تمامـاً أنـه لا يوجـد في الوقـت الحاضـر مـا يدعـو للحـزن والاكتئـاب ولكنـه بالتأكيـد لـن يدعـك تنعـم بذلـك فهـو لا ينفـك باحثـاً عـن سـبب لتعاسـتك، حتـى لـو اضطـره ذلـك للسـفر عـبر الزمـن سـابحاً في بحـار الماضـي بمـا فيـه مـن تجـارب محبطـة لم تكـن نتائجهـا علـى المسـتوى المأمـول، أو منطلقـاً بسـرعة الصـاروخ عـبر مسـتقبل مجهـول المعـالم، وربمـا كنـت تتناقـش معـه حـول طموحاتـك وأحلامـك وعندهـا تكـون أيهـا الطيـب قـد أعطيـت لـه كل مـا يتمنـاه مـن أسـلحة ولا ينقصـه سـوي أن يصوبهـا بسـهوله.

حـازم : ولمـاذا لا يتمسـك الطيـب بموقفه ويعيش حاضرهُ في سـلام ؟!

فريـد : إنهـا المعادلـة الـتي وضعهـا ذلـك الشـرير والـتي لا نسـتطيع تغـير نتائجهـا فهـي مجربـة ومثبته.

حازم : وما هي هذه المعادلة ؟

فريد : «ماضٍ محبط + مستقبل مقلق = حاضر كئيب».

حازم : إذا..... النتيجة هي ذاتها...اكتئاب.

فريد : بالظبط.

حازم : وماذا بعد..... تابع الحديث.

فريد : ما سبق من مناورات هي من وجهه نظري الأقل ضررًا، ولكن تبقى المناورة التالية هي الأكثر خطورة، بل هي الأقسي على الإطلاق.

حازم : وما هي هذه المناورة ؟!!!

فريد : أحب أن أدعوها بمناورة «قاعة المحكمة»

في هذه المناورة يكون القاضي فيها هو ذلك الشخص الطيب، والكارثة تكمن أنه هو المتهم في نفس الوقت !

وربما ظننا أن ذلك الأمر لمصلحته، ولكنه ليس كذلك عندما يواجهه ذلك المحامي اللوذعي المحنك والذي يظهر الأمور علي غير حقيقتها، ولأن الطيب هو شخص عادل بطبعه ،ولسذاجته، يصدق ذلك الادعاء الكاذب من الشرير بأنه فاشل، أو بلا قيمه أو أنه منبوذ أو أنه صفيق أو جاهل أو..... أو..... أو.....

وخطورة هذا الأمر تكمن في أنه لا يوصله فقط لأقصي درجات الاكتئاب، بل ربما حكم على نفسه بالإعدام وأنهى حياته؛ لأنه لا يجد لها معنى.

حازم : ولكننا في الحروب يا فريد لا يوجد فريق دائم الانتصار، وآخر مدمن للهزيمة وكما يقول بعضهم

«يوم لك ويوم عليك»

ألا يمكن لذلك الطيب أن ينتصر يوماً ؟!!!!

فريد : إذا كنت قائداً لكتيبة عسكرية وكنت متقدماً وممتلكاً لزمام المعركة وشعرت فجأة أن الخصم بدأت قوته تزداد، أو أن قوتك أخذت في الانهيار، ماذا سيكون موقفك ؟

حازم : سألجأ للتفاوض.

فريد : وهذه هي المناورة الأخيرة.

حازم : لم أفهم ذلك.

فريد : المناورة الأخيرة أطلق عليها اسم «ليس الآن»

وفيها يقوم الشرير بمحاولة المماطلة، وإهدار الوقت حتى يتسنى له التفكير بهدوء وتريث فعندما يشعر أن الطيب قد اتخذ قراره النهائي وأنه لا يستطيع أن يناوره بأحد الطرق السابقة، يتظاهر بأنه معه وأنه معاونه وناصره، ولكنه فقط يطلب الانتظار لبعض الوقت حتى يتسنى له مساعدته على أكمل وجه، فينتظر الطيب أسابيع وأشهر وربما سنوات، ولكن ماذا تكون النتيجه؟

حازم : تسويف بلا سبب، ولا نتائج محققه.

فريد : كيف ستشعر وقتها ؟

حازم : «بالاكتئاب».

فريد : كما ترى بالرغم من أنه الأضعف إلا أنه حقق هدفه في النهاية.

حـازم : يـا إلهـي..... لمـاذا كل هـذا، ألا يمكننـا أن ننعـم في سـلام بعيـداً عـن هـذا الشـرير ؟! !

فريد : بلى نستطيع.

حازم : وكيف ذلك ؟

فريـد : ربمـا تتعجـب مـن كلامـي، ولكـني لم أخـبرك عـن شـخص ثالـث يعيـش بجانـب الطيـب والشـرير يشـاهد مـا يحـدث ويعـي تمامـا مـا يحـاك مـن قبـل الشـرير ولكنـه لا يتدخـل إلا إذا تم اسـتدعائه.

حازم : ومن هو ذلك الشخص يا فريد ؟

فريد : إنه..... «الحكيم الداخلي»

عليـك أن تعـي تمامـا أن المشـكلة الحقيقيـة تكمـن في أننـا نـترك الطيـب والشـرير يقـودان سـفينة حياتنـا، ثـم نعـود ونحـزن مـن النتيجـة، والحـل ببسـاطة أن نقـود نحـن هـذه السـفينة، عليـك أن تـدرك يـا حـازم أنـك أنـت القائـد.

الكثـير منـا يظـل ماكثـا في مكانـه باحثـا عـن ذلـك المـارد الـذي سـيغير لـه حياتـه بقوتـه الخارقـة وقدراتـه اللامحـدودة، ولكـن صدقـني، حتـى في وجـود ذلـك المـارد الخارجـي لـن تسـعد إلا بإيقـاظ المـارد الداخلـي أو مـن أطلقـت عليـه «الحكيـم الداخلـي».

حـازم : هـل تود إضافة شـيء آخر... أشـعر أنك قـد انهيت كلامك.

فريـد : إن النفـس عـالم كبـير وكل يـوم نكتشـف فيـه الكثـير، تخيـل! !، هـذه النفـس الـتي تعيـش معنـا لا نسـتطيع أن ندركهـا

إنهـا حقـاً معجـزة ربانيـة لا نملـك أمامهـا إلا أن نقـول «سـبحان الله العظيـم».

حـازم : السـؤال الآن هـل يسـتطيع الطيـب أن يتخلـص مـن ذلـك الشـرير.. هـل يسـتطيع أن يخفيـه أصـلاً مـن الوجـود ؟!

فريـد : في تصـوري هـذا مسـتحيل.. مثلمـا هـو مسـتحيل أن يختفـي المـرض مـن الوجـود ولكـن مـا عليـك سـوى أن تعيـش بفلسـفة الفشـل والنجـاح وكمـا قـال بعضهـم

« عرفـت الفشـل لا لأفعلـه ولكـن لأتقيـه..... ومـن لم يعـرف الفشـل وقـع فيـه»

فأنـت الآن قـد عرفـت عـدوك وعرفـت مناوراتـه، ومـا عليـك إلا أن تجـد منـاورة دفاعيـة مناسـبة لـه وعندهـا ستشـاهد ذلـك الشـرير وهـو ينفـذ مناوراتـه وكأنـك تشـاهد فيلمـا ضاحـكاً أنـت تعلـم نهايتـه، ووقتهـا لـن يتسـرب لـك الاكتئـاب أبـداً وستشـعر حقـاً بمعنى السـعادة.

حـازم : أشـكرك علـى هـذا اليـوم السـعيد، وأحمـد الله أنـني أمتلـك صديقـاً مثلك.

فريـد : مرحبـاً بـك في مجتمـع السـعداء... ورزقـك الله السـعادة في حياتـك كلهـا وتذكـر دائمـا يـا صديقـي

«إن أردت أن تكون سعيداً..... فكن»

الفهرس

مقدمة..... ٣
القصة الأولى يوميات طالب
الفصل الأول..... ٧
الفصل الثاني..... ١٤
الفصل الثالث..... ١٨
الفصل الرابع..... ٢٢
الفصل الخامس..... ٢٦
الفصل السادس..... ٣١
الفصل السابع..... ٣٧
الفصل الثامن..... ٤٣
الفصل التاسع..... ٤٧
الفصل العاشر..... ٥٢
القصة الثانية كلام الناس..... ٦١
القصة الثالثة حوار مع صديقي المدخن..... ٨٩
القصة الرابعة سر الأسرار..... ١١٣
القصة الخامسة الشرنقة..... ١٢١
القصة السادسة ليتها تعي..... ١٣٣
القصة السابعة حنان..... ١٤٩
القصة الثامنة أين أبي..... ١٦٣
القصة التاسعة سر النار..... ١٧٥
القصة العاشرة الشيطان يعظ..... ١٩١

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع